الجزر الجعفرية

من 1848 إلى بداية القرن الواحد والعشرين

تأليف:

كارلوس إيسكمبري إينوخو

ترجمة:

محمد عبد المومن

تقديم ومراجعة:

د. مصطفى المرون

الجزر الجعفرية

من 1848 إلى بداية القرن الواحد والعشرين

تأليف:

كارلوس إيسكمبري إينوخو

ترجمة:

محمد عبد المومن

تقديم ومراجعة:

د. مصطفى المرون

إصدارات دار"إي-كتب"

لندن، يوليو – تموز 2019

The Chafarinas Islands: From 1848 to the beginning of the 21st century
BY: Carlos Esquembri Hinojo
Translation: Mohamed Abdelmoumen
Submission and review: Dr. Mustapha El Merroun

Published by e-Kutub Ltd
Distribution: TheBookExhibition.com & Associates
All yields of sales are reserved to the author
ISBN:9781780584751
First Edition
London, July. 2019
** * **

الطبعة الأولى، لندن، تموز - يوليو 2019
الجزر الجعفرية: من 1848 إلى بداية القرن الواحد والعشرين
المؤلف: **كارلوس إيسكمبري إينوخو**
ترجمة: محمد عبد المومن
تقديم ومراجعة: د. مصطفى المرون
الناشر: e-Kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024

التوزيع: TheBookExhibition.com

يمكنك الكتابة إلى المؤلف على العنوان التالي:
dream-way@hotmail.com

الفهرس

كلمة شكر

أود بداية أن أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور مصطفى المرون، لما بذله من وقت وجهد كبيرين في مراجعة هذا العمل وفي التقديم له، والذين لولاهما لما كان لهذه الترجمة أن تكتمل.

كما أشكر الدكتور أنطونيو بر لو نييطو، رئيس تحرير دورية ألدابا Aldaba على تشجيعه لي على الاستمرار في ترجمة هذا العمل، وعلى ما قام به من جهد بهدف ربط الاتصال بالمؤلف.

والشكر موصول للصديق محمد الرحماني، على مساعدته القيمة، أثناء قيامي بترجمة هذا العمل،

المؤلف:

كارلوس إيسكمبري إينوخو، باحث إسباني، وعضو في معهد الدراسات المليلية، ألف ونشر العديد من الدراسات حول تاريخ مدينة مليلية.

المترجم:

محمد عبد المومن، باحث مغربي، مهتم بتاريخ شمال المغرب، نشر عددا من الترجمات والدراسات في دوريات عربية ومغربية.

المراجع:

الدكتور مصطفى المرون، باحث مغربي مهتم بتاريخ العلاقات المغربية الإسبانية، نشر العديد من الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإسبانية، أشهرها التاريخ السري للحرب الكيماوية ضد منطقة الريف واجبالة.

تقديم

نادرة هي الدراسات التي اهتمت بالاحتلال الإسباني للجزر المغربية، أو الجيوب السليبة كما يطلق عليها في المراجع المغربية، نظرا لحجمها الصغير، ودورها المحايد في الأحداث الكبرى التي أثرت عبر التاريخ في مجرى العلاقات المغربية الإسبانية، بالإضافة إلى مهامها الثانوية كمعتقلات لعتاة المجرمين الإسبان، والسياسيين المناوئين لنظام الحكم داخل إسبانيا، سواء بالجزيرة الإيبيرية، أو في أمريكا اللاتينية، على الرغم من أهميتها الاستراتيجية كحاميات للجنود، أو مراكز مراقبة للملاحة البحرية عبر المتوسط. هذه الجزر يمكن حصرها في أربعة رئيسية هي: كبدانة (الجعفرية) Chafarinas، بادس Peñón de Vélez de la Gómera، النكور Peñón de Alhucemas والبرهان Alborán.

في هذا السياق، من بين الحكايات المتعلقة بالتسمية الإسبانية للجزر الجعفرية (Chafarinas)، هي كونها كانت مرتعا للقراصنة، يلجئون إليها كلما كانت الظروف الجوية سيئة، أو لقصد إنزال الغنائم، أو بهدف التموين. لهذا نعتت باسم "**جزر الشفارين**" أو "**إشفارن**" باللغة الأمازيغية، أي "اللصوص"، وهي الصفة التي كانت تطلق على القراصنة، ومنها اتخذت النعت الإسباني Chafarinas.

حسب المؤرخ محمد ابن عزوز حكيم[1]، كانت فكرة احتلال الجزر الجعفرية من طرف إسبانيا تعود إلى نفس السنة التي احتلت فيها مدينة مليلية سنة 1497م، لكن التطبيق الفعلي للفكرة سينطلق منذ وصول الجيش الفرنسي إلى الحدود المغربية الشرقية سنة 1847م، حيث ستقرر الحكومة الإسبانية في مجلسها المنعقد يوم 26 يونيو 1847م احتلال الجزر، وإقامة حامية عسكرية لضمان الملاحة الحرة بشاطئ إفريقيا.

غادر الأسطول الإسباني ميناء مالقة يوم 4 يناير 1848م برئاسة الجنرال سيرانو، الذي حل بمليلية في نفس اليوم، ليقوم باحتلال الجزر يوم 6 يناير 1848م، إذ بمجرد ما نزل الجنرال سيرانو بأرض الجزيرة، حتى صاح في جنوده قائلا: "**لقد دخلت جزر كبدانة تحت طاعة جلالة الملكة إيسابيلا الثانية**"، وأطلق على كل جزيرة من الجزر الثلاث اسما إسبانيا هو: جزيرة إيسابيلا الثانية Isabela II، جزيرة الملك Rey وجزيرة مجلس الشيوخ Congreso.

في هذا الصدد، تأتي ترجمة هذا المؤلف، بهدف إماطة اللثام عن جزء مهم من التراب المغربي الذي احتلته إسبانيا، حيث تتبع المؤلف، بشكل مفصل ودقيق، الأحداث التي رافقت تطور هذه الجزر منذ احتلالها سنة 1848م إلى غاية

---

[1]- محمد ابن عزوز حكيم: "**جزر كبدانة: متى وكيف سقطت بيد إسبانيا سنة 1264 هـ / 1848 م**". مجلة الجيوب السليبة – العدد الأول – ديسمبر 1988 – ص.ص 49 / 55.

الفترة الراهنة، التي شهدت فيها الجزر تراجعا على مستوى الأهمية الإستراتيجية، مما جعلها عرضة للتهميش، خصوصا على مستوى التموين بالمياه والطاقة، مما دفعها إلى الاعتماد على الطاقات البديلة منذ سنة 2009م، دون أن يغفل المؤلف موقع الجزر الجعفرية ضمن الأحداث الكبرى التي طبعت العلاقات المغربية الإسبانية، من حروب ونزاعات، كحرب تطوان سنة 1860م، وحرب مليلية منذ سنة 1893م، والتدخل العسكري الإسباني في المغرب ما بين سنوات 1908م و1912م؛ ثم سنوات 1913م إلى غاية 1927م والحرب الأهلية الإسبانية (1936م – 1939م). كذلك، تطرق المؤلف في جانب آخر إلى التجاذبات والتوافقات المغربية الاسبانية التي أعقبت استقلال المغرب، خصوصا فيما يتعلق بقضايا استرجاع الأقاليم المغربية التي كانت تحت السيطرة الإسبانية، والتي انطلقت بتحرير طرفاية سنة 1958م، ثم سيدي إيفني سنة 1969م، لتختتم بتحرير باقي الأقاليم الصحراوية سنة 1975، والتي أثرت على الوضع الإداري للجزر الجعفرية، ودفعت بإسبانيا إلى إحداث نوع من التقارب مع المغرب، جسد في اتفاقية الصيد البحري، وترسيم الحدود المائية سنة 1969م، والذي أعقبه تقارب كبير فيما يتعلق بالملفات العالقة، كالهجرة السرية، التهريب، الإرهاب العابر للحدود، ملف الصحراء وقضية سبتة ومليلية.

هي قضايا فصل فيها الكتاب باستفاضة، والتي سبرت أغوار العلاقات المغربية الإسبانية، وتأثيراتها على الوضع

الـداخلي للجـزر تحـت السـيطرة الإسـبانية، بشـكل يجعـل القـارئ يفهـم خبايـا هـذه العلاقـات في تسلسـلها الزمني، ومـن خـلال الوضع الداخلي للجزر السليبة.

الدكتور مصطفى المرون
باحث مساعد سابق بمركز الدراسات الإسبانية المعاصرة – جامعة لندن

مقدمة المترجم

أصل هذا العمل مقالان صدرا ضمن العددين 37 و38 من دورية ألدابا Aldaba، وهما من تأليف الباحث الإسباني، كارلوس إيسكمبري إينوخو. وكان الهدف من ترجمتهما نشرهما منفصلين على صفحات إحدى الدوريات التاريخية، ثم بدا لي أن أضمهما معا، وأنشرهما في كتاب جامع.

ثم إن ترجمة ونشر هذا العمل، نابع من اهتمام شخصي بتاريخ العلاقات المغربية الإسبانية، وخصوصا بتاريخ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الريف الشرقي، وإسبانيا عامة، ومدينة مليلية المحتلة على وجه الخصوص، وهي مواضيع أظن أنها في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، خصوصا أن الريف الشرقي عرف خلال القرن التاسع عشر ازدهارا لنشاطي التهريب والقرصنة، وخلال القرن العشرين طفرة اقتصادية، مع الشروع في استغلال مناجم الحديد المكتشفة بأراضي قبيلة بني بويفرور، مما كان له أكبر الأثر على شمال المغرب خلال فترة الحماية.

وقد قمت في هذا العمل بتجميع المقالين في نص واحد، وبتعريبها بأكبر قدر من الأمانة العلمية،بهدف الحفاظ على المعاني التي أرادها المؤلف، رغم أنني أختلف معه في مسألة السيادة على الجزر الجعفرية، حيث يعتبرها أرضا إسبانية وأعتبرها أرضا مغربية محتلة.

كما قمت بإضافة العديد من الهوامش التي سيجدها القارئ باللغة العربية،أما بالنسبة لأسماء الشخصيات الإسبانية والكوبية

فقد كتبتها مثلما تنطق باللغة الإسبانية، كما أضفت الأسماء بالحروف اللاتينية في مواضع كثيرة ليتمكن القارئ من قراءتها بشكل سليم. وبالنسبة للأعلام الجغرافية الإسبانية فقد أوردت أسمائها العربية الشائعة كغرناطة وقادس وألميرية وبالنسبة لمن لا تعرف لها أسماء عربية فقد أوردتها مثلما تنطق.

وذيلت النص بمجموعة من الملاحق التوضيحية، وخصوصا بخرائط للجزر الجعفرية والمناطق القريبة، وببعض الصور التي تؤرخ لبعض الأحداث الهامة التي مرت بتلك الجزر.

وقد جعلت من المقال الأول، وعنوانه الأصلي: " الجزر الجعفرية من 1848 إلى أواخر القرن 19 " فصلا أولا. ومن المقال الثاني، وعنوانه: الجزر الجعفرية خلال القرن العشرين" فصلا ثانيا. وارتأيت أن يكون عنوان هذا العمل هو: **"الجزر الجعفرية من 1848 إلى أوائل القرن الواحد والعشرين".**

في الختام أشير إلى أني واجهت خلال العمل على هذه الترجمة عددا من الصعوبات، والتي تخطيتها بفضل الله، ثم بمساعدة الدكتور مصطفى المرون، والصديق محمد الرحماني فلهم مني جزيل الشكر.

وألتمس من القارئ العذر، فيما قد يصادفه من خطأ أو تقصير أو ما قد يبدو غموضا في بعض الكلمات والجمل.

ولمن أراد الاطلاع على النص الاسباني فيمكنه العودة إلى:

Chafarinas: El ayer y el presente de unas islas olvidadas, Carlos Esquembri Hinojo, Las Islas Chafarinas, Desde 1848 Hasta Finales del Siglo XIX ,

Aldaba: Revista del Centro Asociado a la UNED de Melilla, ISSN 0213-7925, Nº. 37, 2013 , páginas. 191-220.

وكذلك:

Chafarinas: El ayer y el presente de unas islas olvidadas II , Carlos Esquembri Hinojo, Islas Chafarinas Durante el Siglo XX,

Aldaba: revista del Centro Asociado a la UNED de Melilla, ISSN 0213-7925, Nº. 38, 2013, páginas. 9-42.

الفصل الأول: الجزر الجعفرية من 1848 إلى أواخر القرن التاسع عشر

أولا- أهم الأحداث التي حدثت منذ احتلال الجزر إلى حرب 1859:

- السنوات الأولى، الوقائع الأولى:

في الوقت الذي غابت في الأفق السفن التي نقلت الجنرال سيرانو[2] والوفد المرافق له، والفرق العسكرية التي قامت بعملية غزو الجزر، [3] بقيت هناك على جزيرة إيسابيلا سيغوندا، [4] جماعة من العمال والمساجين الذين كلفوا بالأعمال الشاقة، من بينها بناء الثكنات والمخازن والتحصينات لتأمين الممتلكات الإسبانية الجديدة.

ومن الناحية الإدارية، أصبح الأرخبيل تابعا إلى مليلية، [5] وإلى القيادة العسكرية العامة لأفريقيا المستحدثة سنة 1847، التي كانت مدينة سبتة مركزا لها، وتم تعيين ضابط حمل لقب حاكم لتسيير شؤون الأرخبيل، و كان أول من تقلد

---

[2] - سياسي وعسكري إسباني قاد حملة عسكرية سنة 1848 لاحتلال الجزر الجعفرية. شغل مناصب رفيعة في الدولة الاسبانية.

3- أرخبيل يوجد قبالة السواحل الشرقية للمغرب، يتكون من ثلاث جزر هي: جزيرة الملك، جزيرة إيسابيلا سيغوندا وجزيرة كونغريسو.

[4] - إحدى الجزر الجعفرية الثلاث، مساحتها حوالي 15 هكتار، توجد بها قواعد عسكرية إسبانية.

[5]- مدينة بالشمال الشرقي للمغرب احتلها الاسبان سنة 1497 مساحتها 12.3 كيلومترا مربعا.

هـذا المنصـب هـو العقيـد بيثينطي إيلاردويـا Vicente Ilardulla. لكــن، فـي فبرايــر 1851 تــم إلغــاء القيــادة العامــة لإفريقيــا، وأصــبحت مليليــة والمســتعمرات الإســبانية التابعــة لهــا تشــكل جــزءا مــن القيــادة العســكرية العامــة لغرناطــة، وصــنفت مليليــة منطقــة عســكرية مــن الدرجــة الثانيــة، أمــا الجــزر الجعفريــة، صــخرة نكــور [6] وصــخرة بــادس، [7] فقــد صــنفت فــي الدرجــة الثالثة. [8]

وبــالنظر إلـى مــا يميـز فصـل الشــتاء مــن قســاوة الطقــس، وخصوصــا خــلال شــهر فبرايــر، فقــد كــان الشــغل الشــاغل للعقيــد إيلاردويــا هــو تــوفير ملجــإ آمــن لرجالــه، ليحتمــوا مــن الطقــس العاصــف. وبالفعــل، فقــد تمكنــوا في الأيــام الأولى مــن شهر فبراير من بناء عدد من الأكواخ لإيوائهم.[9]

في مقابـل هـذا التقـدم المتواضـع والضـروري لتحسـين ظـروف الحاميــة،تعالت الأصــوات مطالبــة بالقيــام بعمــل أكثــر قــوة، أي القيــام بهجــوم انطلاقــا مــن الجــزر الجعفريــة. في هــذا الســياق، نشــرت يوميــة إل إســبانيول *El Español* المدريديــة، بتــاريخ 16 مــارس 1848، رســالة وصــلتها مــن مليليــة، تتضــمن دعــوة لإقامــة

---

[6]- جزيرة صغيرة بالمياه المغربية تحتلها إسبانيا منذ سنة 1559.

[7] - جزيرة صغيرة متصلة حاليا بالبر المغربي تحتلها إسبانيا منذ سنة 1564.

[8] - Moga Romero, Vicente (1988). En: Aldaba nº 9; pág. 216.

[9] - Diario constitucional de Palma 07/02/1848.

حصـــن مــدفعي فـي موقـــع رأس المـــاء، [10] لـــتأمين إمــدادات المـــاء والحطب للمتواجدين بالجزر.

ومــن جهــة أخــرى، ارتفعــت أصــوات أخــرى منتقــدة العمليــة، حيــث نشــرت بعــض الجرائـد مقـالات تعـارض فيهـا إهــدار الأمــوال والرجــال في عمليــة محــدودة وبســيطة، مثــل احــتلال تلــك الجــزر، وظهــرت شــائعات تؤكــد أن تلــك العمليــة ليســت إلا جــزءا مــن خطــة لإبعــاد الجنـرال ســيرانو Serrano عــن الــبلاط تمهيــدا لإرساله إلى الفليبين.[11]

فــرغم الوضــع السياسـي المتــأزم في إسـبانيا، والــذي كـان مــرده التــأثر بالموجــة الثوريــة التي اجتاحــت أوربــا، فــإن ذلــك لــم يمنــع الحكومة من الدخول في مغامرات خارجية طموحة.

ففـي يــوم 26 مــارس مــن نفـس الســنة، انطلقــت حركــة ثوريــة مــن مدريــد، تــم على إثرهـا نفـي العديـد مـن معتقلي هــذه الحركــة إلـى الجــزر الجعفريــة، لتصــبح هــذه الجــزر منــذ تلــك اللحظــة، منفــى للســجناء والمعتقلــين لأســباب سياســية. وقــد اســتنكرت الصـــحافة الأوضــــاع المزريــــة لأولئــــك الســـجناء والمنفيـــين السياســـيين، رغـــم أن التقـــارير كانـــت تأكـــد بـــأن الســـلطة التنفيذيــة أعطــت تعليمــات لتحســين ظــروفهم المعيشــية، [12] إلا أنــه لا يبــدو بــأن ذلــك ســاهم بشــكل ملمــوس في التخفيــف مــن المعانـــاة التــي يعيشـــوها فــي المنفـــى، بـــل إن الحكومـــة ألغـــت

[10]- رأس بحري بالساحل المغربي قبالة الجزر الجعفرية، يدخل ضمن أراضي قبيلة كبدانة.

[11] - El Clamor Público 09/03/1848.

[12] - El Balear 08/08/1848.

المساعدة التي كانت تقدم لهؤلاء المنفيين، إلى درجة أن من كانوا عاجزين على أداء تكاليف إقامتهم في الجزر، اضطروا إلى استهلاك حصص الخبز الأسود ذي النوعية الرديئة والمليء بالقذارة. [13]

في هذا الصدد، تم في أبريل من سنة 1848 عزل العقيد إيلاردويا، وتعويضه في منصب الحاكم، بعقيد من جيش المشاة، هو فرانثيسكو خابيير بيغا Francisco Javier Vega، الذي رغم تعيينه بصفة مؤقتة في هذا المنصب، إلا أنه ظل فيه لمدة ست سنوات. [14]

في السياق ذاته، أثمرت جهود التشييد المبذولة على جزيرة إيسابيلا سيغوندا سنة 1849 عن نتائج ملموسة، رغم أنها كانت تعتمد بشكل كلي على سفينة شراعية صغيرة تابعة للبحرية الإسبانية، استعملت لنقل المواد من جزيرة الملك، [15] حيث تم إنشاء العديد من الحصون الدفاعية، والمباني لإيواء الجنود والمنفيين، وقد شجعت احتياجات ومتطلبات هؤلاء على ظهور نشاط تجاري صغير، حيث أصبحت الجزر تستقبل بعض التجار القادمين على متن مراكب صغيرة.

في موازاة ذلك، أصبحت كل الإنشاءات مهددة بالانهيار بسبب العاصفة الرهيبة التي ضربت الجزر من الشمال

---

[13] - El Genio de la Libertad 02/04/1849

[14] - Estado Militar de España. 1849 - 1850.

[15] - إحدى الجزر الجعفرية الثلاث، مساحتها 12 هكتار لا يوجد عليها أي بناء، وتعتبر حاليا محمية طبيعية.

الشــرقي في شــهر مــارس مــن ســنة 1849، حيــث تصــف رســالة أرســلت مــن جزيــرة إيســابيلا ســيغوندا، الســاعات العصــيبة التي ضــربت أثنائهــا العاصــفة، والتي صــاحبتها أمــواج هائلــة غمــرت جزيــرة الملــك، ووصــلت حتــى حصــن لا كونكيســطا La Conquista المــدفعي. فقــد اقتلعــت الريــاح أبــواب ونوافــذ المبــاني المشــيدة فـي المنــاطق المرتفعــة، أمــا المــد العــالي، فقــد تــدفقت مياهــه مــن ضــفة إلى أخــرى بجزيــرة الملك،مــدمرة المنشــآت التي كــان العمــل فيهــا متواصــلا منــذ عشــرة أشــهر، وســحبت مركبــا كــان هنــاك وقــذفت بــه نحــو الشــاطئ، كمــا أغرقــت في البحــر ثلاثــة مــدافع برونزيــة مــن عيــار 24 ملــم، كانــت لا تــزال مفككــة بالقرب من المكان الذي كان من المقرر أن تنصب فيه.

كمـــا أن المركـــب الشـــراعي خاســـون Jasón ذي الأربـــع والعشــرين مــدفعا، والــذي كــان يســتعمل للــربط بــين الجــزر فقــد مرســاته، وصــار مهــددا بــالانجراف نحــو الشــاطئ، وقــد كــان مــن الممكــن المخــاطرة بإنقــاذه، لكــن شــكلت تلــك العمليــة مجازفــة بــأرواح البحــارة والجنــود، الــذين ظلــوا علــى متنــه طيلــة الأربعــين ســـاعة التـــي اســـتمرت فيهـــا العاصـــفة، لتقـــام بعـــد هـــدوئها قداديس الشكر احتفاء بنجاة المركب، وبقائه سالما. [16]

وقــد كشــفت حصــيلة العاصــفة عــن مــدى هشاشــة المنشــآت التـــي تمـــت إقامتهـــا فـــي جزيـــرة إيســـابيلا ســـيغوندا، وتزايـــدت الانتقـــادات الموجهـــة لعمليـــة الاحـــتلال، ولتكـــاليف الصـــيانة،

[16] - La Esperanza 12/04/1849.

لدرجة أنه أثناء مناقشة مجلس النواب لميزانية سنة 1851،كان هناك اقتراح بالتخلي عن تحصين الجزر بسبب التكلفة المرتفعة. في مقابل هذه الاقتراحات، كانت هناك مواقف قوية للمتحمسين لعملية الاحتلال، حيث طالبوا بالبقاء في الجزر، ولو بحامية أصغر، وتحصينات أصغر، وكانت المبررات هي تأمين ميناء بديل لمليلية، والموقع الجغرافي للأرخبيل الذي سيعزز موقع إسبانيا في مواجهة الأطماع الفرنسية في وادي ملوية، وفي منطقة الحدود المغربية الجزائرية.[17]

- الجزر الجعفرية في سياق الصراع الحدودي بين المغرب وفرنسا من خلال التقارير الصحافية:

أثارت التحركات الفرنسية نحو وادي ملوية خلال أواسط القرن التاسع عشر قلقا عميقا لدى السلطات المغربية، التي استشعرت التهديد القادم من الحدود الشرقية، حيث أرسلت فرقا عسكرية لصد هذه التحركات، وهذا ما أنتج حالة من التوتر.

وحينها برزت الأهمية الإستراتيجية للجزر الجعفرية، في توفير قاعدة إستراتيجية لإسبانيا في المنطقة، تمكنها من متابعة الأحداث الجارية عن كثب، وبعثِ رسالة، ولو بصفة

[17] - El Ancona 08/01/1850.

رمزيـــة - مــن خــلال وجــود حاميـــة صــغيرة - بإصــرارها وحرصــها على حماية مصالحها في هذا الجزء من المغرب.

فبالإضـــافة إلـى المعلومـــات الرســـمية التـي كانـــت ترســـلها السـلطات العسـكرية مـن الجـزر الجعفريـة إلى الحكومـة، ظهـرت تقــارير صــحفية لأشــخاص مجهــولي الهويـــة، هــم فـي الأصــل مراســلون لعــدد مــن الجرائــد الإســبانية، قــاموا بإرســال تقــارير عــن الأحــداث والمواجهــات التي جــرت في المنــاطق القريبــة مــن الأرخبيل.

هكـذا، أوردت جريـدة لا إيبيريـا La Iberia المدريديـة في عــددها الصــادر يــوم 6 دجنبر مــن ســنة 1856، بنــاء على تقــارير قادمــة مــن الجــزر، معلومــات عــن مواجهــات بــين قــوات فرنســية عبرت مــن الضــفة اليســرى لــواد الملويــة، وحركــة [18] مكونــة مــن قبائل المنطقة.

كمـا قامـت جريـدة لا إسـبانيا La España في عـددها الصـادر يــوم الثــامن عشــر يونيــو ســنة 1857، بنشــر رســالة أرســلها أحــد مــن كـانوا آنـذاك في الجـزر - والـذي عـرض القيـام بـدور المراسـل - تضــمنت أخبــارا عــن احتمــال نشــوب حــرب بــين المغــرب وفرنســا، وعــن وصــول مركــب بريطــاني رســا بــالقرب مــن مصــب واد ملويــة، ونزل منه قنصل بريطانيا في طنجة، وممثل عن السلطان.

كــان الهــدف مــن تلــك الزيــارات جمــع معلومــات ميدانيــة عــن التحركــات العســكرية الفرنســية، خصوصــا أن بريطانيــا لــم تكــن

---

[18] - حملة عسكرية حسب الاصطلاح المغربي القديم.

لترضى عن أي عمل عسكري فرنسي ضد المغرب، أو عن احتلال إسبانيا لمدينة طنجة.[19]

ويمكننا مطالعة ما نشرته صحيفة لا إيبيريا بشكل يومي حول ما بدا صداما عسكريا وشيكا بين الفرنسيين والمغاربة، حيث أشار مراسلها بأنه راقب بواسطة المنظار تحركات القوات الفرنسية والمغربية بالقرب من مصب واد ملوية. كما تحدث أيضا عن زيارة مركب حربي فرنسي للجزر، حيث قدم الفرنسيون طلبا رسميا للسماح لهم بالرسو في حالات الطقس السيئ، أو في حالة وقوع حادث، مع إمكانية إنزال القوات في حالة ما إذا أجبرتهم الظروف على البقاء مدة طويلة، وحسب مراسل الصحيفة، فقد سمح لهم باستخدام جزيرة الملك.

في السياق ذاته، رست بالميناء في يوم 23 من نفس شهر يونيو 1857 ثلاث سفن بخارية فرنسية، بسبب حالة الطقس، وقد كانت هذه السفن في مهمة نقل فرق عسكرية من جنوة ووهران إلى الغزوات،[20] كما ذكر الفرنسيون بأن تسعة سفن تحمل فرقا أخرى تنتظر الأوامر بالإبحار في ميناء بوهران.[21] كذلك، رسا بالميناء يوم 24 من نفس الشهر، مركب خفر السواحل الإسباني إيسبارطاكو Espartaco ، وعلى متنه البريد ووثائق رسمية، بالإضافة إلى معلومات من إسبانيا

[19] - Historia de España XXXIV، págs. 866 y ss.

[20] - مدينة جزائرية تابعة لولاية تلمسان وتوجد بالقرب من الحدود المغربية الجزائرية.

[21] - Jerónimo Becker, pág. 225. Expedición francesa contra los Beni Snassen.
Véase también La Iberia del 05-11-1859

تؤكد قرب إعلانها الحرب ضد المغرب، مما أثار جوا من الفرح داخل الحامية العسكرية والمقيمين بالجزيرة.

أثارت هذه الأحداث التي تندرج في سياق الضغط العسكري الإسباني على المغرب شكوك الحكومة البريطانية، وجعلتها تأخذها على محمل الجد، خصوصا عندما انتشرت شائعات مفادها أن هناك مشروعا فرنسيا إسبانيا يقوم على تنازل إسبانيا لفرنسا عن الجزر الجعفرية في مقابل دعم فرنسا احتلال إسبانيا لمدينتي تطوان وطنجة، وهذا ما دفع بالسفير الإسباني في لندن إلى نفي هذه الشائعات. [22]

- الجزر الجعفرية وحرب 1859

اندلعت حرب تطوان، التي جرت أطوارها أواخر سنة 1859، [23] نتيجة لسلسلة طويلة من الخلافات الديبلوماسية، والصدامات المسلحة، والاستفزازات التي تورط فيها الطرفان المغربي والإسباني، وكلها بسبب ممتلكات إسبانيا في شمال إفريقيا، ومن بينها طبعا الجزر الجعفرية، التي أثار احتلالها من طرف إسبانيا احتجاجات السلطان، الذي كان يعتبرها جزءا من مملكته.[24]

---

[22] - La Discusión 21/10/1859. Sobre implicaciones extranjeras en el conflicto véase Historia de España XXIV pág. 866 y ss.، y La Guerra de África،pág. 28.

[23]- حرب تطوان 1859-1860، حرب دارت رحاها بشمال المغرب، وأفضت إلى انتصار إسبانيا.

[24] - Jerónimo Becker, pág. 215.

كما كانت القرصنة [25]، التي مارسها المغاربة ضد السفن والمراكب الإسبانية المبحرة عبر السواحل المغربية، من القضايا التي زادت من حدة التوتر بين الدولتين. في سياق هذا التوتر، تعرضت سفينة شراعية انطلقت من مليلية لهجوم في يناير من سنة 1852 من طرف القلعيين [26] كانوا يبحرون على متن قاربين [27] انطلقا من شاطئ لا سالينا La Salina (يوجد في الموقع الحالي لميناء بني أنصار)[28] ، وقد وقع الهجوم على بعد ستة أميال فقط من المدينة. ونظرا لأن هذه الهجوم تمت مشاهدته انطلاقا من الشاطئ، فقد تم في الحال إرسال مركب مسلح ومجهز بمحرك بخاري ليطلق النار ضد المهاجمين. [29] كذلك، في شتنبر من السنة الموالية، تعرضت فلوكة [30] كانت تبحر في اتجاه مليلية قادمة من الجزر الجعفرية، لهجوم من طرف قراصنة أبحروا على متن ثمانية مراكب من نفس الشاطئ، (لاسالينا)، لكن تم إحباط الهجوم بسبب وصول النجدة من مليلية. [31]

---

[25] - خلال أواسط القرن 19، مارس بعض أهالي منطقة إعزانن بقبيلة قلعية بمهاجمة السفن العابرة لسواحل قبيلتهم وهذا ما اعتبرته إسبانيا قرصنة..

[26] - قلعية: اتحادية قبلية موطنها الريف الشرقي تحيط أراضيها بمدينة مليلية.

[27] - اعتمد هؤلاء القراصنة على قوارب كبيرة من نوع الشباك المعروف في شمال المغرب.

[28] - مدينة مغربية حدودية تابعة لإقليم الناظور، محاذية لمدينة مليلية المحتلة.

[29] - La Esperanza 12/02/1852.

[30] - مركب شراعي صغير.

[31] - El Ancona 08/10/1853.

وقد ساهم التوتر المتصاعد مع المغرب في تركيز الحكومة الإسبانية أنظارها على الممتلكات الإسبانية في شمال إفريقيا، حيث أنشأت سنة 1855 لجنة ترأسها حاكم مليلية اللواء بوثيطا Buceta، مهمتها إنجاز دراسات عن الساحل الممتد من صخرة بادس إلى مصب واد ملوية، وتقديم تقارير حول حالة المنطقة ووضعية الممتلكات الإسبانية، مع الإشارة إلى ما يجب القيام به لتقوية وضعها في حال قيام حرب ضد المغرب. [32]

وفيما يتعلق بأرخبيل الجعفرية، فقد خلصت اللجنة إلى ضرورة تحسين حالة مينائها الطبيعي إلى إقامة رصيف يربط بين جزيرة إيسابيلا سيغوندا وجزيرة الملك، وكذا إلى احتلال نقطة على الشاطئ المقابل لتقديم الدعم للجزر، بالإضافة إلى إعلانها ميناء للتجارة الحرة، وبالتالي ربطها بباقي الأرضي الإسبانية بواسطة سفن بخارية تقوم برحلات منتظمة. لكن بعد سنتين من إنشاء اللجنة لا يبدو أن الأمور كانت قد تحسنت كثيرا. فوفقا لتقرير حول الأرخبيل نشرته جريدة لا إسبانيا في عددها الصادر بتاريخ 30 يناير 1857، يمكن الاطلاع عن حالة الجزر وعلاقتها بمحيطها، إذ ففي ما يتعلق بالحالة، فقد أشار كاتب التقرير إلى أن الأكواخ الخشبية التي شيدت سنة 1848 كملاجئ مؤقتة لا تزال قائمة، لكن هذه الأكواخ التي كان يسكنها أفراد الحامية والمنفيين لم تعد بحالة

[32] - La guerra de África, pág. 26 y Datos para la Historia de Melillla, de Gabriel de Morales Mendicutía, 1909،pág. 203.

جيـــدة.[33] . وكانـــت التشـــكيلات العســـكرية المكونـــة للحاميـــة، والمنتميـة إلى سـلاح المشـاة، سـلاح المدفعيـة، وكوكبـة مـن القـوات البحريـة، تتـوفر على ثكنـات خاصـة بهـا، لكنهـا كانـت لا تـزال قيـد الإنشـاء، وكـذلك كـان الشـأن بالنسـبة للمستشـفى. وإلى جانـب هـذه المبـاني الرسـمية، كانـت هنـاك منـازل وأمـاكن أنشـئت مـن طرف بعض الخواص. [34]

في هــذا الصــدد، يــذكر كاتــب التقريــر أن ســلطات الجزيــرة قامـت بمحـاولات عديـدة لكسـب ثقـة أعيـان قبيلـة كبدانـة، [35] كـان الهـدف منهـا بنـاء الثقـة وتطـوير النشـاط التجـاري، وكـذا ربـط علاقـات مـع المحـيط المجـاور، لكـن هـذه المحـاولات التي قـام بهـا بشـكل أسـاسـي المتـرجم خوسـي طوريغروسـا José Torregrosa لـم تحقـق نتـائج تـذكر، في حـين، بـاءت محـاولات الوصـول إلى أراضـي قبيلـة كبدانـة بالفشـل، بعـد اعتراضـها مـن طـرف حـراس القبائـل المتمركـزين في رأس المـاء، الـذين لـم يكونـوا يســمحون للمبعــوثين بالتوغــل فــي الــبلاد لتوســيع العلاقــات التجاريـة، التـي ظلـت مقتصـرة علـى بضـع رؤوس مـن الماشـية، وخصوصـا الأبقـار والمـاعز، التـي كـان بعـض سـكان المنـاطق المجـاورة يتمكنـون مـن إدخالهـا خفيـة إلى الجـزر، خـارقين بـذلك الحظـر الـذي كان مفروضـا على ممارسـة التجـارة مع سـكان هـذه الجزر.

---

[33] - El Clamor Público 18/02/1857.

[34] - Islas Chafarinas, pág. 28

[35] - إحدى قبائل الريف الشرقي، توجد أراضيها قبالة الجزر الجعفرية.

في السياق ذاته، استأنفت طوال سنة 1857 أوراش التحصين والتأهيل داخل الجزر، ولهذا السبب زاد عدد السجناء الذي اشتغلوا في مشاريع البناء،حيث تجاوز عددهم آنذاك مائة سجين.   هذا التزايد في أعداد السجناء الذين يعيشون ظروفا قاسية، ويجبرون على الأشغال الشاقة، دفع بعضهم إلى التخطيط للتخلص من الحامية العسكرية ومن ثم الفرار، حيث كانت خطتهم تقوم على جلب مخدر من إسبانيا وخلطه مع طعام الجنود، لتصبح الجزر بعد ذلك في قبضة المتمردين، لكن المؤامرة تم اكتشافها من طرف سلطات الجزيرة، وتم التخلص من المتآمرين الستة المخططين لها عبر إرسالهم إلى مليلية.[36]

من جانب آخر، بلغ التوتر بين المغرب وإسبانيا ذروته في شتنبر 1858، عند وقوع المساعد Ayudante فرناثيسكو ألباريث Francisco Álvarez (من حامية مليلية) مع ستة من المنفيين، في كمين دبره أفراد من قبيلة قلعية. وردا على ذلك، أعطي حاكم مليلية أمرا - بعد الحادث ببضعة أيام - باعتراض قارب كان يبحر في مياه الجزر الجعفرية، واعتقال ركابه الثمانية والعشرين مع الطاقم، اتخذوا كرهائن لضمان سلامة الأسرى الإسبان.

وقبيل اندلاع الحرب بين المغرب وإسبانيا في يناير 1859، اعطيت دفعة أخرى لأشغال البناء والتحصين، عبر إرسال

[36] - La Iberia 16/04/1858 y 20/04/1858 La España 25/03/1858.

مجموعة من السجناء المدانين بالأشغال الشاقة، تم انتقاؤهم من مختلف السجون، للقيام بأعمال لها علاقة بالبناء. في حين، أن الحرب التي شنتها إسبانيا على المغرب، جرت كل وقائعها في المنطقة الفاصلة بين سبتة وتطوان، دون أن تسجل بالجزر الجعفرية عمليات عسكرية ذات أهمية، ودون أن يمكن انتصار إسبانيا في هذه الحرب الجزر الجعفرية من امتيازات تذكر، كما لم تتم الإشارة إليها في معاهدة السلم التي أنهت حرب 1860. [37] [38]

ثانيا: المحاولات الأولى لتثمين الجزر

- إنشاء خدمة مواصلات بحرية منتظمة

في أواخر عقد الخمسينات، وبداية عقد الستينات من القرن التاسع عشر، قامت الحكومة بمجموعة من الإجراءات لإنعاش الاقتصاد وتحسين شروط الحياة في الممتلكات الاسبانية بشمال إفريقيا، ومن بين تلك التدابير، تحسين خدمة النقل البحري، وذلك استنادا إلى توصيات اللجنة التي تم تشكيلها سنة 1855، ولذلك اتخذت الإجراءات الضرورية لإنشاء خط بحري قار يعتمد على السفن البخارية التي كانت تربط مالقة بالممتلكات الشمال إفريقية. [39] وإلى حدود سنة

[37] - La España 23/01/1859.

[38] - معاهدة واد راس الموقعة في 26 أبريل 1860، هي التي أنهت حرب تطوان وحصلت بموجبها إسبانيا على العديد من المكاسب.

[39] - المناطق الخاضعة للسيادة الإسبانية بالساحل المغربي هي: سبتة، مليلية،صخرة نكور، صخرة بادس والجزر الجعفرية.

1858، لـم يكـن قـد تـم تفعيـل الخدمـة، حيـث فشـلت المناقصـة الأولـى، وفـي شـهر مـارس 1859 مـنح الامتيـاز أخيـرا إلـى شـركة كاسـا هرمـانوس ريطورطيـو Retortillo Hemranos Casa، الـذين هـم فـي الأصـل رجـال أعمـال قادسـيين[40] كانـت لـديهم اسـتثمارات في المجـال البحـري، كمـا أنهـم في نفـس الوقـت، رجـال مـال وسياسـة كانوا قـد حصـلوا قبـل ذلـك على امتيـاز تزويـد تلـك المسـتعمرات الاسـبانية بـالمواد التموينيـة. في هـذا الصـدد، كـان علـى السـفن، بالإضـافة إلـى نقـل البريـد والمـؤن والمسـافرين، تزويـد الجـزر الميـاه التي تحتاجهـا بشـدة. وبموجـب بنـود العقـد، فقـد كـان على السـفن القيـام بـرحلتين كـل شـهر، وكـان تـاريخ انطـلاق أول رحلـة هـو يـوم 20 أبريـل 1860. [41] لكـن، خـلال العقـود المواليـة، تـم الاتفـاق على الزيـادة في عـدد الـرحلات، إلى أن وصـلت إلى رحلـة كـل أسـبوع، كمـا تمـت إضـافة خدمـة نقـل المسـافرين المـدنيين في العقـد المبرم سـنة 1871، وهـو إجـراء مهـم ساهم في تنمية الممتلكات الشمال إفريقية.

- إعلان الموانئ الحرة

فـي عـدد 6 ينـاير مـن سـنة 1863 مـن جريـدة غاثيطـا دي مدريـد Gaceta de Madrid، تـم نشـر بيـان صـادر عـن وزارة

[40] نسبة لى مدينة قادس.

[41] - La Correspondencia de España 17/04/1860.

المالية بخصوص صياغة قانون يتم بموجبه تحويل مينائي مليلية والجزر الجعفرية إلى موانئ حرة.

وقد تضمن البيان توضيحا لمبررات تحويل المستعمرات الشمال إفريقية إلى موانئ حرة، كتحويلها إلى مراكز تجارية هامة على شاكلة ميناء سبتة [42] الذي كان قد أعلن " ميناءا حرا مع بعض الاستثناءات ".

وقد خُتم ذلك البيان، بعدد من الآمال التي كان هناك طموح إلى تحقيقها في تلك الأماكن: " وأملنا أن تتحول من أماكن خالية وحزينة ترتبط بالعقاب والنفي، إلى مراكز كبيرة لتحقيق الثروة، ولترويج منتجات صناعتنا، وأن تصير عنصرا من عناصر نشر حضارتنا في تلك البلاد الشاسعة ".

وضمن عدد يوم الأربعاء الموافق ل 20 مايو 1863، لجريدة لاغاثيطا دي مدريد، نشر قانون صدر يوم 18 من نفس الشهر نص في بنده الأول، على تحويل موانئ سبتة ومليلية والجزر الجعفرية إلى موانئ حرة، في حين، أكد بنده الثاني على أن السلع الإسبانية المصدرة إلى باقي مناطق البلاد انطلاقا من الموانئ الثلاثة، لا تعتبر محلية، بل أجنبية.

[42] - سبتة، مدينة في أقصى شمال المغرب تطل على مضيق جبل طارق. احتلها البرتغاليون سنة 1415، وتنازلوا عنها لإسبانيا سنة 1668.

- محاولات الاستفادة من الثروة السمكية

لقد شكل الصيد البحري عنصرا أساسيا في تحقيق الإقلاع الاقتصادي المنشود للأرخبيل، فقد وفرت المياه المحيطة به والغنية بالثروات السمكية إمكانات كبيرة لخلق الثروة. هكذا، مُنح لميغيل أورس Miguel Ors في سنة 1849، ترخيص لتثبيت مضربات [43] في الجزر الجعفرية، وكذا، إنشاء بعض الورشات المخصصة لتمليح الأسماك. [44] كما قام بعض الصيادين، ومقر نشاطهم يوجد في بيا خوايوسا Villa joyosa في سنة 1868 [45]، باستئجار بعض السفن بهدف الصيد في مياه الجزر، لكن هذا النشاط لم يعمر طويلا. [46]

وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الرواد واجهتهم صعوبات كبيرة أثرت على عملية تطوير هذا النشاط الاقتصادي، وخصوصا البند الثاني من قانون تحويل ميناء الجزر إلى ميناء حر، والذي نص على معاملة السلع القادمة من الجزر معاملة البضائع الأجنبية، وبالتالي، أعاق هذا البند بشكل كبير تصدير هذه المنتجات إلى إسبانيا.

---

[43] - طريقة تقليدية لصيد أسماك التونة.

[44] - Islas Chafarinas، pág. 28.

[45] - مدينة ساحلية توجد شرق إسبانيا ضمن إقليم القنت.

[46] - Expansión y crisis de la actividadpesqueravalenciana.

وبالتـــالي وجـــب الانتظـــار إلـى ســـنة 1894، لتقـــوم الحكومـــة بتغييـر ذلـك البنـد الـوارد في قـانون 18 مـاي 1863، وبـذلك تـم تحرير الصادرات السمكية إلى شبه الجزيرة الأيبيرية.[47]

- النشاط التجاري والعلاقات مع قبيلة كبدانة

كـان الـدافع مـن وراء إعـلان مـوانئ سـبتة ومليليـة والجـزر الجعفريـة مـوانئ حـرة، تعزيـز التجـارة مـع سـكان المنـاطق الحدوديـة، وجعـل الممتلكـات الاسـبانية بشـمال إفريقيـا منـاطق منتجـة، وتحويلهـا إلـى أداة لخدمـة المصـالح الاسـبانية فـي المنطقة.

لكـن، خابـت هـذه الآمـال في الجـزر الجعفريـة، وتعثـرت تلـك الأمـاني، لأنـه لـم يكـن للمغـرب مكتـب جمـارك فـي رأس المـاء، وبالتـالي تعـذر تصـدير البضـائع مـن الجـزر بشـكل قـانوني. فقـد وافـق المغـرب على إقامـة نشـاط تجـاري محـدود مـع الممتلكـات الاسـبانية بشـمال إفريقيـا (باسـتثناء مليليـة)، حيـث انحصـرت التجـارة بـين الجـانبين في تصـدير المنتجـات الزراعيـة والحيوانيـة لتمـوين سـكان تلـك المنـاطق. في مـوازاة ذلـك، لـم تقـم إسـبانيا، رغـم انتصـارها علـى المغـرب فـي حـرب تطـوان لسـنة 1860، بفـرض إنشـاء مكتـب جمـارك فـي رأس المـاء، وضـاعت بـذلك أفضل فرصة للمساهمة في تنمية الجزر.

---

[47] - Gaceta de Madrid del martes 17 de julio de 1894.

وبالرغم من حظر المغرب استيراد السلع من الجزر الجعفرية، فإن تجارا من كبدانة كانوا يقصدونها لبيع منتجاتهم الفلاحية والحيوانية، في مقابل، شراء السلع بثمن مناسب بسبب الامتيازات التي كانت تخولها وضعية الميناء الحر، مما أدى إلى ظهور نوع من التبادل التجاري، وهو ما يطلق عليه اليوم في مليلية " التجارة غير النمطية ". [48]

في هذا السياق، دفعت هذه التجارة غير النمطية، ممثلي السلطان في المنطقة إلى منع زيارة الجزر تحت طائلة أداء غرامات مالية ثقيلة. وكذلك، كان قطع العلاقات التجارية في بعض الأحيان تقرره السلطات المحلية من أعيان القبائل أو قياد المنطقة دون تدخل من الحكومة المركزية المغربية، وهذا ما أدى إلى اضطراب في التجارة.

في سنة 1879 أمر ت الحكومة المغربية قايد كبدانة بعدم التدخل في شأن تموين سكان الجزر. فقد كانت نتيجة قطع العلاقات التجارية ما بين الجزر الجعفرية وراس الما، يعني قطع التموين عن السكان [49]. في هذا الصدد، تم في شهر شتنبر 1864، إرسال زورق سريع Lancha من الجزر الجعفرية إلى مدينة مليلية ليجلب من هناك الزيت واللحم بسبب قلة هاتين المادتين الغذائيتين، فقد كانت الأغنام من المنتجات التجارية التقليدية مع سكان قبيلة كبدانة. وقد تم فعلا

[48] - التجارة غير النمطية هي تجارة التهريب.

[49] - La Correspondencia de España 07/09/1879.

إرسـال أربعـين خروفـا حيـا مـن مليليـة، كمـا تـم إرسـال براميـل مـن الزيت على متن مركب البريد ثيريس Ceres من مالقة.[50]

ومـع ذلـك، كـان هنـاك رجـال أعمـال مثـل هيخينيـو فرنانـديث Higinio Fernández، راهنـوا على الاسـتثمار في الأرخبيـل، بحيـث، سـمحت الحكومـة فـي سـنة 1870 لـه ولشـريكه مانويـل سانشـيث Manuel Sánchez، بتنظـيم رحـلات يوميـة بواسـطة سـفن بخاريـة في ملكيتهمـا مـا بـين مـوانئ سـبتة، مليليـة، صـخرة نكـور، والجـزر الجعفريـة، لتطـوير العلاقـات التجاريـة، سـواء مـع شـمال المغـرب لمصـلحتهما أو مقابل عمولة أو حصة من الأرباح.[51]

ولا نعـرف مـا آل إليـه مصـير هـذا المشـروع التجـاري، بسـبب تذبـذب العلاقـات بـين إسـبانيا والمغـرب، وخصوصـا مـع القبائـل الريفيـة، ونعنـي قلعيـة وكبدانـة، وهـي تقلبـات كـان سـببها الأساسـي، احتجاجـات الحكومـة المغربيـة ضـد عمليـات التهريـب التي كانت تمارسها السفن الإسبانية.

في هـذا الإطـار، نشـرت المفوضـية الاسـبانية بـالمغرب سـنة 1874 تقريـرا عـن الشـكوى المقدمـة مـن طـرف الحكومـة المغربيـة ضـد التهريـب الممـارس مـن طـرف السـفن الاسـبانية في سـواحل الريـف، وقـد ذكـرت المفوضـية بـأن النشـاط التجـاري كـان ممنوعـا علـى طـول السـاحل الممتـد مـن تطـوان حتـى الحـدود

---

50 - El Clamor Público 02/10/1864.

51 - Carta de Higinio Fernández publicada en La Iberia 14/01/1865. El Imparcial 28/08/1870.

الجزائريـــة، ومســـموح بـــه فقـــط عبـــر ديوانـــة[52] مليليـــة، وأن الإعفــاء مــس فقــط الإمــدادات المتجهــة إلـى صـخرتي بــادس ونكور، وكذا أرخبيل الجزر الجعفرية. [53]

- المشاريع الأولى لساتورنينو خيمينيث SATURNINO JIMÉNEZ في الجزر الجعفرية: مصنع راس الماء، والقاعدة البحرية الألمانية

كــان لســاتورنينو خمينيــث شخصــية مركبــة، فقــد كــان مغـامرا، ومكتشـفا، ورجـل أعمـال وسياسـة. ولـد في مينورقـة، [54] وحــارب إلى جانــب الحــزب الجمهــوري الفيــدرالي، [55] وشــارك في الاحتجاجـات التي شـهدتها مدينــة قرطجنــة، والتي اضـطر بعـد فشــلها ســنة 1874،[56] إلى الهــروب نحــو مدينــة وهــران. وبعــد اسـتفادته مـن العفـو عـاد إلى إسـبانيا، ومـن هنـاك بـدأ سلسـلة مـن الـرحلات التي قادتـه إلى بلـدان أوربـا الشـرقية، وإلى روسـيا، والإمبراطوريـــة العثمانيـــة. وبعـــد عودتـــه ســـنة 1883 اســـتقر مجـددا في مدينـة وهـران، وهنـاك امـتهن الصـحافة، كمـا صـار

[52] - مركز الجمارك في الاصطلاح المغربي القديم.

[53] - La Época 03/10/1874.

[54] - إحدى جزر البليار.

[55] - حزب سياسي إسباني منحل، تأسس خلال الثورة المجيدة، وحكم إسبانيا خلال مرحلة الجمهورية الأولى ما بين 1873 – 1874 .

[56] - Para una visión general de los planes de Jiménez y el contexto intenracional: España, Alemania y Chafarinas.

ممثلا للجمعية الجغرافية بمدريد، والجمعية الأفريقانية ببرشلونة.

بعد رحلته إلى وادي ملوية، المنطقة الواقعة ما بين مليلية ووجدة وكبدانة، ركز اهتمامه على الجزر الجعفرية، ومنطقة رأس الماء، حيث أقام معسكره في مطلع سنة 1884.

من هناك، قام السيد خيمينيث المتخصص في الصحافة، بإرسال سلسلة من الرسائل لجريدة اليوم El Día المدريدية، شرح فيها خططه لإقامة وكالة تجارية في رأس الماء، تكون مرتبطة بالجزر الجعفرية، والتي ستستخدم كميناء لمشروعه. من خلال هذه الرسائل، يمكننا معرفة تفاصيل ما كان يقع في الجزر، وطبيعة علاقاتها بكبدانة والجزائر الفرنسية. هكذا، يصف في إحدى تلك الرسائل، التي يعود تاريخها إلى 4 مارس،1884، الجزر بأنها: " مستعمرة إسبانية تحتل وضعا ممتازا من الناحية التجارية والإستراتيجية والملاحية... لكن من المؤسف أن تستخدمها إسبانيا كمعتقل فقط". وقد انتقد الوضع الذي كان عليه ساكنة جزيرة إيسابيلا سيغوندا وتحصيناتها. هذه الساكنة التي بلغ تعدادها آنذاك 600 نسمة، منهم 186 منفيون، بالإضافة إلى حامية مشكلة من كتيبة للمشاة، وفصيلة للمدفعية من 12 جنديا، وعدد من المستخدمين وعائلاتهم.

أما بالنسبة للنشاط التجاري، فقد اعترف بأنه مزدهر، لأن قبيلة كبدانة طردت القايد، وهذا ما سمح لأفرادها بممارسة التجارة مع الجزر بشكل حر، حيث قاموا باقتناء زورقين

سريعين من الغزوات، وهو ما مكنهم من الاتصال مع الجزر بشكل مستمر. وقد اعتبر خيمينيث بأن هذه القبيلة كانت تميل إلى الجانب الإسباني، وبالتالي، كان يأمل أن تعمل إسبانيا على ترك الفرنسيين بعيدين عنها. [57]

لكن مشاريعه لم تجد طريقها إلى التنفيذ كما كان يتوقع. بحيث، بعد توقيعه بالأرخبيل الجعفرية أمام الموثق فرانثيسكو مارين Francisco Marín عقد شراء الأراضي التي يرغب في إقامة وكالته التجارية عليها، فوجئ برفض الحاكم العسكري فرانثيسكو غاييغو Francisco Gallego توثيق العقد، على اعتبار أن هذه الوثيقة ستؤثر سلبا على العلاقة مع القبائل. وقد اعتبر خيمينيث أن سبب هذه العراقيل هو الرضوخ لمصالح تتعارض مع مشروعه، لذلك أعلن أنه سينتقل إلى الأراضي الفرنسية (الجزائر) لمواصلة مشاريعه. [58]

في هذا الصدد، تم يوم 30 أبريل 1884، نشر رسالة من طرف خيمنيث، ذكر فيها أنه اجتاز واد كيس [59] نحو الأراضي التابعة لفرنسا، وانتقد تقاعس السلطات الاسبانية عن تطوير التجارة وتنمية مليلية والجزر الجعفرية، وأعطى مثالا على ذلك النمو الذي عرفته مدينة الغزوات، التي جلبت لها التجارة منافع عظيمة، حيث تعتبر الزيوت الإسبانية المستودة

[57] - El Día 17/04/1884.

[58] - El Día 26/04/1884

[59]- أو واد أغبال. مجرى مائي صغير يصب في البحر الأبيض المتوسط، ويفصل بين الأراضي المغربية والجزائرية.

مـن مالقــة مـن طـرف الفرنسـيين، مـن المنتجـات الرائجـة هنـاك، وأكــد علـى أن الكثيـر مــن المنتجــات التـي تســتهلك فـي مليليــة والجـــزر الجعفريـــة يـــتم نقلهـــا بواســـطة الشـــركات الملاحيـــة الفرنسـية، كالشـركة الوهرانيـة للنقـل البحـري Oranesa de Marítimos Transportes، التي كانـت تـربط وهـران بـالغزوات وبالجزر الجعفرية ومليلية.

وبعــد إبــداء الســلطات الاســبانية عــدم اهتمامهــا بمشــروع وكالتــه التجاريــة فـي رأس المــاء، ســلك خيمينــث طرقــا أخــرى لتنفيــذ مشــاريعه. ففـــي عـــدد 20 مـــارس لســـنة 1885، مـــن الجريـدة الألمانيـة Deutsche Kolonial Zeitung، ذات التوجـه الاســتعماري، والتـي كـان خيمينيـث مراسـلها في الجزائـر، نَشـر مقـالا تحـت عنـوان: " ألمانيـا في المغـرب "، تحـدث فيـه عـن إمكانيــة مــنح إســبانيا أراضـي في الجــزر الجعفريــة لألمانيــا مــن أجـل إنشـاء قاعـدة بحريـة ومخـزن للفحـم. و الواضـح أن السـيد خيمينيـــث كـــان يطمـــح إلـــى الاســـتفادة مـــن القاعـــدة فـي حـــال إنشـائها، لتكـون ميناء لمشـروعه الـذي لـم يـتمكن مـن اسـتكماله بسبب معارضة السلطات الإسبانية.

وقـــد أثـــار هـــذا المقـــال أثـــار احتجاجـــات داخـــل الـــدوائر الاسـتعمارية الفرنسـية، التي اسـتنتجت مـن خـلال مـا ورد فيـه، أن تنـازل إسـبانيا عـن الجـزر لصـالح ألمانيـا هدفـه وقـف توسـع فرنســا فـي المغـــرب. فـي حـــين، اعتبـــرت الـــدوائر الاســـتعمارية الأفريقانيـــة الإســـبانية، بـــأن المقتـــرح حـــط بكرامـــة الأمـــة الاســـبانية، ونتيجـــة لـــذلك طـــرد خيمينيـــث مـــن الجمعيـــة

الأفريقانيــة ببرشــلونة. ومــن جانبهــا، قامــت الســلطات الفرنســية مباشــرة بعــد ذلــك بطــرده مــن الأراضــي الجزائريــة، ومــع هــذا الطرد، فشلت جميع مخططاته.[60]

وقــد تفاقمــت مشــكلة القاعــدة البحريــة الألمانيــة خــلال شــهر غشــت 1885، مــع حادثــة رســو فرقاطــة ألمانيــة في جــزر المرجــان[61] التابعــة لإســبانيا، حيــث كــان هــذا الحــادث علــى وشــك أن يــؤدي إلــى نــزاع عســكري بــين الــدولتين. ونظــرا لأن ألمانيــا كانــت مهتمــة بــالجزر الجعفريــة، وحتــى لا يتكــرر مــا وقــع فــي جــزر المرجــان، فقــد تــم تعزيــز الــدفاعات بواســطة قطــع جديــدة مــن المدفعية.

ختاما، ذكرت صحيفة إل سيغلو فوتورو El Siglo Futuro المدريديــة، بــأن هنــاك إشــاعات عــن عــزم الحكومــة المغربيــة التخلــي عــن رأس المــاء لصــالح إســبانيا، في إطــار عمليــة تبــادل أراضــي، وذلــك مقابــل المســتعمرة الاســبانية القديمــة ســانطا كروز دي مار بيكينيا Santa Cruz de la Mar Pequeña،[62] وذلــك اســتكمالا لمــا نصــت عليــه اتفاقيــة الصــلح الموقعــة ســنة 1860. فقــد أرادت الحكومــة المغربيــة بفضــل هــذا التنــازل لصــالح إســبانيا، طــرح مقترحــات أخــرى لصــالح فرنســا، وكــذا،

[60] - España، Alemania y Chafarinas.

[61]- مجموعة من الأرخبيلات والجزر والحلقات المرجانية الموجودة إلى جنوب الفلبين، تابعة حاليا لكيريباتي وبالاو.

[62] - مستعمرة إسبانية قديمة بالساحل الجنوبي للمغرب يعتقد أنها سيدي إفني.

كسب دعم الدولتين لمواجهة الطموح الاستعماري الألماني المفترض. [63]

ثالثا - الجزر الجعفرية – المعتقل

- معتقل الجزر الجعفرية

بغض النظر عن المشاريع التي كانت موجهة لتحقيق مردود اقتصادي في الجزر الجعفرية، فإن الحكومة الاسبانية كانت لا تزال تعتبرها مجرد معتقل، ومنفى للمسجونين لأسباب سياسية أو جنائية.

في هذا الصدد، كان معتقل الجزر الجعفرية مرتبطا بمليلية، لكنه شكل استثناء- ينطبق هذاالوضع أيضا على معتقلي نكور وبادس- داخل النظام الجزائي الإسباني، حيث كان من مسؤولية وزارة الحرب من حيث الإدارة والإشراف، - رغم أن العديد من السجناء الذين قضوا هناك عقوبتهم السجنية تمت متابعتهم من طرف محاكم مدنية عادية-، في حين، كان السجانون وموظفو المُعتقل يعينون من طرف وزارة الحرب، ويختارون من بين العسكريين الذين تم تسريحهم.

في هذا السياق، كانت إدارة المعتقل حسب قانون السجون الصادر سنة 1844، من مسؤوليات الحاكم العسكري للجزر، وكان السجناء مقسمين إلى فرق يرأس كل واحد منها مراقب، كما كانت الفرق مقسمة إلى طوابير، يرأس كل طابور منها

63- El SigloFuturo 22/12/1885.

رئـيس. ومــن المهــام الأخــرى بهــذا المعتقــل، نجــد المســئولين عــن الوُرَش وقد كانوا يختارون من السجناء ذوي المهارة الحرفية.

ولــم تكــن توضــع للســجناء ذوي الســلوك الحســن أصــفاد، حيـث كانـت تسـند إلـيهم مهمـة الأشـغال المنزليـة، أو تقـديم بعـض الخـــدمات، كمســـاعدين داخـــل المخـــازن والمستشـــفى، أمـــا البــاقون، فقــد كلفــوا ببنــاء التحصــينات والأشــغال العموميــة. وكـان المعتقلـون الـذين يقومـون بالأشـغال، يتلقـون مقابـل ذلـك راتبـا، كـان جـزء منـه يوضـع في صـندوق تـوفير، حتى يـتمكن السـجين بعـد إكمـال عقوبتـه مـن الاسـتفادة منـه في الإنـدماج مجـددا في المجتمـع. في هـذا الصـدد، كـان المحكومـون بـالجزر الجعفريــة ســنة 1857 يحصــلون علــى أجــر يــومي مقــداره ريــال واحـدا.[64] ومـع ذلـك فالحيـاة في الجـزر الجعفريـة لـم تكـن سـهلة، بسـبب انعـدام المـوارد، خصوصـا المـاء، الـذي كـان يخضـع لنظـام الحصص.

في الســياق ذاتــه، نجــد ضــمن عــدد يــوم 16 فبرايــر لســنة 1865 مــن جريــدة لا إيبيريــا La Iberia المدريديــة، مقــالا ينــدد بالمعاملــة الســيئة التي يتلقاهــا الســجناء فــي كــل مــن مليليــة والجـــزر الجعفريـــة، والـــذين تعرضـــوا لتجـــاوزات وعقوبـــات صارمة لم تكن تسمح بها القوانين.

64 - El Clamor Público 18/02/1857.

هكـذا، بعـد إصـلاح نظـام السـجون الإسـباني، والـذي انطلـق العمـل بـه ابتـداء مـن سـنة 1870[65]، أصـبحت معـتقلات كـل مـن مليليـة، الجـزر الجعفريـة، بـادس، نكـور والحسـيمة تابعـة لـوزارة الحـرب على مسـتوى تعيـين المـوظفين، المصـالح الإداريـة والمـوارد الاقتصـادية. وتابعـة لـوزارة الداخليـة في كـل مـا عـدا ذلـك. كمـا صـارت هـذه المعـتقلات الشـمال إفريقيـة مكانـا مخصصـا للمنفيين والمحكومين بالمؤبد والأشغال الشاقة.

في هـذا السـياق، أحـدثت تبعيـة مـوظفي المعـتقلات الشـمال إفريقيـة لـوزارة الحـرب، عـدم اعتـراف مـن طـرف بـاقي مـوظفي السـجون، حيـث كـان موظفـو السـجون الشـمال إفريقيـة يعينـون دون إجـراء المبـاراة التـي كـان علـى مـوظفي السـجون التابعة لوزارة العدل اجتيازها. [66]

وبالنسـبة لعـدد المعتقلـين الـذين كـانوا في الجـزر، فقـد كـان يتـراوح مـا بـين ثمـانين ومئـة خـلال عقـد الخمسـينات مـن القـرن التاسـع عشـر،[67]لكنـه ارتفـع فيمـا بعـد بسـبب الاضـطرابات السياسـية والاجتماعيـة التـي عصـفت بإسـبانيا، حيـث وصـل عـددهم في شـهر مـاي مـن سـنة 1874 إلى 117 معـتقلا، مـن بيـنهم 28 محكومـون بالمؤبـد، وذلـك بسـبب قمـع الانتفاضـات

[65] - La Gaceta de Madrid 14/12/1874.

[66]- Revista de prisiones 24/11/1902.

[67] - La España 02/10/1857.

الشـعبية وبسـبب الثـورتين الكارليـة[68]والكوبيـة[69] [70]، و نجـد مـن بـين أولئـك المعتقلـين الـزعيم الفوضـوي [71] القادسـي (نسـبة الى مدينـة قـادس)، فـرمين سالبوشـيا Salvochea Fermín، [72] أحـد قـادة الاحتجاجـات الشـعبية بـإقليم قـادس. والـذي تصـادف وجـوده فـي المعتقـل مـع وصـول الأفـواج الأولـى مـن المبعـدين الكـوبيين، حيـث قـدم لهـم مسـاعدة تمثلـت في تحويـل زنزانتـه إلى مدرسـة للأطفـال يـدرس فيهـا أبنـاء هـؤلاء المبعـدين، خصوصـا وأن العديد منهم جاؤوا مصحوبين بأسرهم. [73]

- كوبيون وفلبينيون

إلـى جانـب المـدانين بأحكـام قضـائية ، كـان يوجـد بـالجزر الجعفريـة مـن يطلـق علـيهم "المبعـدون". وقـد كانـت عقوبـة الإبعاد يقررها الحاكم العام لكوبا أو الفلبين.

كـان معظـم هـؤلاء المبعـدين مـن المثقفـين، مـن ذوي المهـن الحـرة، أو مـن النخبـة المتشـبعة بالإيديولوجيـة الانفصـالية،

---

[68]- سلسلة من الحروب الأهلية التي عرفتها إسبانيا خلال القرن 19، سببها مطالبة كارلوس دي بوربون وأبنائه بعرش إسبانيا.

[69] - La Gaceta de Madrid 26/06/1874.

[70]- سلسلة من الحروب التي وقعت بكوبا خلال القرن 19 بين الجيش الإسباني والثوار الكوبيين الساعين إلى تحقيق الاستقلال.

[71] - الفوضوية: تيار سياسي سعى معتنقوه إلى إقامة مجتمعات متحررة من سلطة الدولة تؤطرها جمعيات تطوعية.

[72] - زعيم سياسي إسباني تولى مناصب هامة خلال مرحلة الجمهورية الأولى.

[73] - Testimonio de Salvochea al diario El País 27/10/1902.

حيث تمت معاملتهم بأفضل مما كان يعامل به المساجين، ولتجنب مشكل الإيواء، تم تخصيص إحدى ثكنات جزيرة إيسابيلا سيغوندا لهذه الغاية.

بدأ وصول الكوبيين إلى الجزر الجعفرية عند نهاية عقد السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان من أوائل الذين وصلوا إلى هناك، نجد كلا من إيميليو باكاردي Emilio Bacardí، [74] والجنرال الكوبي الشهير خوصي ماثيو José Maceo، [75] وشقيقه الجنرال رافاييل ماثيو، [76] الذي لقي حتفه بالجزر الجعفرية.

وبعد نهاية ما عرف بالحرب الصغيرة Chiquita Guerra في أكتوبر من سنة 1880، [77] تم إبعاد حوالي 190 رجلا، 30 امرأة و18 طفلا كوبيا نحو الجزر الجعفرية، [78] مما تسبب في بروز مشكلة الإيواء، فتم إرسال حوالي مائة شخص إلى مدينة سبتة. [79] كذلك، تم في السنة الموالية السماح للعديد من المبعدين بمغادرة الجزر والاستقرار في إسبانيا، لكن أعداد المبعدين إلى الجزر الجعفرية عادت إلى الارتفاع بعد اندلاع

---

[74] - سياسي ورجل أعمال ومفكر كوبي ناضل من أجل الاستقلال عن اسبانيا.

[75] - ثائر كوبي معروف ناضل مع شقيقيه أنطونيو ورفاييل من أجل استقلال كوبا قتل في المعركة سنة 1896.

[76] - جنرال في جيش التحرير الكوبي، ناضل إلى جانب شقيقيه خوسي وأنطونيو من أجل الاستقلال. لقي حتفه بالجزر الجعفرية.

[77] - إحدى حروب استقلال كوبا جرت وقائعها بين 1879 و 1880.

[78] - La Iberia 01/10/1880.

[79] - La Correspondencia de España 07/10/1880.

حرب 1895 [80]، حيث وصل عددهم في شهر أبريل من سنة 1897، إلى مجموع 180 محكوما، من بينهم 99 كوبيا و36 فلبينيا. [81]

لقد كان أهم ما حدث سجل خلال هذه الفترة، هو فرار المبعدين الكوبيين خوسطو غارثيا Justo García، (نجل الزعيم الانفصالي كاليشطو غارثيا García Calixto)، [82] ومانويل بلاناس Planas Manuel، اللذين تمكنا من الإبحار على متن قارب فرنسي أقلهم إلى مدينة الغزوات، ومن هناك توجهوا إلى فرنسا، وبعدها نحو كوبا. وبعد نهاية الحرب في كوبا والفلبين عاد كل المبعدين الكوبيين والفلبينيين إلى أوطانهم.

- الفوضويون المسجونون في الجزر الجعفرية

في أواخر القرن التاسع عشر، تحولت الجزر الجعفرية إلى منفى خاص بالفوضويين المدانين بالمشاركة في التفجير الشهير الذي استهدف شارع كامبيوس نويبوس Cambios Nuevos في مدينة برشلونة، ففي السابع من شهر يونيو من سنة 1896، وعند مرور موكب كوربوس كريستي christi Corpus،

80 - ثاني حروب استقلال كوبا عن اسبانيا، وقعت بين 1879 و 1880.

81 - Desterrados de la patria.

82 - زعيم وثائر كوبي، شارك بفعالية في حروب استقلال كوبا الثلاث، حرب العشر سنوات، الحرب الصغيرة وحرب 1895.

[83] انفجـرت قنبلـة في هـذا الشـارع مخلفـة الكثيـر مـن القتلـى والجرحـى فـي صـفوف الحشـود التـي حضـرت الموكـب، وخـلال الأيـام الموالية للحادثـة تـم اعتقـال الكثيـر مـن الفوضـويين للاشتباه بمشاركتهم في المؤامرة.

وقـد تمـت محـاكمتهم أمـام محكمـة عسـكرية انعقـدت فـي مونطيجويـك Montjuic،[84] خـلال شـهر ديسـمبر مـن نفـس السـنة، والتـي قضـت بإعـدام الـبعض، وأحكـام بالسـجن لمـدد طويلـة مـع الأشـغال الشـاقة للـبعض الآخـر، رغـم ادعـاء المعتقلـين أنهـم تعرضـوا للتعـذيب وللعديـد مـن الانتهاكـات. [85] ومـن ثـم، انطلقـت على إثـر ذلـك حملـة لمسـاندتهم كـان لهـا صـدى وطنـي ودولـي، وسـاهمت فـي بـروز الـزعيم اليسـاري المعـروف أليخاندرو ليروش Alejandro Lerroux.

وفي شـهر فبرايـر ،1900، قامـت الحكومـة بإلغـاء عقوبـة مـن تمـت إدانـتهم فـي محاكمـة مونطيجويـك، باسـتثناء فرانثيسـكو كاييس كالابيريا Francisco Callis Clavería، الـذي بقـي هنـاك حـوالي خمسـة أشـهر أخـرى، قبـل أن يُسـمح لـه، بعـد إصـابته بخلـل عقلـي، بمغـادرة المعتقـل. [86] ولكـن بصـفة أكيـدة، بقـي

- عيد ديني مسيحي يحتفل به في بعض الدول الكاثوليكية. [83]

- بلدة كطالونية تابعة لإقليم برشلونة. [84]

[85] - Sobre el atentado de CambiosNuevos y el proceso de Montjuic: El nacimientodelterrorismo en occidentepágs. 116 y ss.

[86] - La Dinastía 02/07/1900.

هنـاك في معتقـل الجـزر الجعفريـة بعـض السـجناء الفوضـويين حتى الأيام القليلة التي سبقت إغلاقه النهائي.

فـي مـوازاة ذلــك، اســتغلت لجنــة عماليــة تمثـل منظمــة الطبقـات الـثلاث Federación de las Tres Clases ، الزيـارة التـي قــام بهــا الملــك ألفونســو الثالــث عشــر [87] إلـى برشــلونة في أبريــل مــن ســنة 1904، للقــاء بجلالتــه، وتقــديم طلــب بــالعفو عــن العامـل أنطونيــو كـابفير Antonio Capvert، الــذي كـان يقضــي حكمــا بالســجن في معتقــل الجــزر الجعفريــة، بســبب مشــاركته فـي محاولــة اغتيــال رجلــي الحــرس المــدني، بيلانوبــا Vilanova وجيلطرو Giltrú. [88]

- نهاية معتقل الجزر الجعفرية

شــكلت ســنة 1906 نهايــة معتقــل الجــزر الجعفريــة، وبــاقي المعـتقلات الثانويـة الموجـودة في شـمال إفريقيـا، بحيـث، وصـلت إلى مليليـة في يـوم 26 يونيـو مـن نفـس السـنة الفرقاطـة " خنرال كونتشـا General Concha"، وعلى متنهـا 101 معـتقلا هـم آخـر تبقـى مـن سـجناء الجـزر الجعفريـة، وصـلوا إلى مليليـة في عهـدة المــلازم بســلاح المشــاة مــانتيو Mantillo، الــذي كــان حتـى ذلــك التــاريخ يمــارس مهمــة مســاعد بمعتقــل الجزيــرة. ومباشــرة بعــد نــزولهم بمينــاء المدينــة،تم اقتيــادهم تحــت حراســة عســكرية

---

[87] - ملك إسبانيا بين 1886 و 1931.

[88] - La Dinastía 12/04/1904.

مشـددة إلى حصـن فيكتوريـا غرانـدي Grande Victoria، وهناك تم إيداعهم إلى غاية معرفة وجهتم الجديدة. [89]

[89] - El Telegramadel Rif 27/06/1906.

الفصل الثاني: الجزر الجعفرية خلال القرن العشرين

أولا- عودة ساتورنينو خيمينيث وتهريب الأسلحة:

- عودة ساتورنينو خيمينيث

رغم أن السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر كانت فترة عصيبة بالنسبة لإسبانيا بصفة عامة، وللجزر الجعفرية بشكل خاص، إلى درجة التفكير في بيعها مع جزر المرجان [90] لألمانيا، إلا أن القرن العشرين جلب معه آمالا جديدة.

في هذا السياق، جلب السيد ساتورنينو خيمينيث SATURNINO JIMÉNEZ في سنة 1902 مشروعا جديدا إلى الجزر، حيث كان قد فشل قبل ذلك في إقامة وكالة التجارية على ساحل قبيلة كبدانة، الشيء الذي دفعه إلى بيع الأراضي التي كان يملكها هناك لشركة من برشلونة تحت اسم: " الشركة التجارية الإسبانية الإفريقية ". وقد حاولت هذه الشركة أن تحصل من الحكومة على تأكيدات وضمانات أمنية للأراضي التي اشترتها كضمان لإقامة المشروع المخطط له، لكن الرد السلبي للحكومة، جعل الشركة تتخلى نهائيا عن المشروع. [91]

---

[90] - مجموعة من الأرخبيلات والجزر والحلقات المرجانية الموجودة إلى جنوب الفلبين، تابعة حاليا لكيريباتي وبالاو.

[91] - España y la apertura de la cuestión marroquí págs. 334 y ss.

مـن جانـب آخـر، حصـل مشـروع الوكالـة التجاريـة في سـنة 1901 علـى فرصـة جديـدة، وهـي نفـس السـنة التي اسـتقر فيهـا خيمينـث في مليليـة مـع زوجتـه الروسـية، التي كـان يشـاع علـى أنهـا ابنـة المهنـدس الـذي أشـرف علـى بنـاء قاعـدة بـورت أرثـر[92] البحريـة الروسـية في كوريـا. هكـذا، حظـي السـيد خيمينيـث أثنـاء مقامـه في مليليـة بثقـة الجنرال بينـانثيو هيرنانـديث، الـذي أرسـل تلغرافـات لـوزير الحـرب الجنـرال وايلـر Weyler[93]يوصـي فيهـا بإقامة مشروع الوكالة التجارية في الجزر الجعفرية. [94]

وقـد اشـتمل المشـروع الـذي كـان خيمينيـث ينـوي إقامتـه في جزيـرة الملـك علـى رصـيف، مسـتودع للفحـم، مخـازن للسـلع وأوراش للصـيانة، فـي حـين، كـان مـن المنتظـر أن تـؤمن سـفن البريـد الـربط البحـري مـا بـين الجزيـرة وراس المـا، ثـم منـاطق مغربيـة أخـرى. وقـد كـان هـدف خيمينـث مـن هـذا المشـروع يتمثـل فـي اسـتيراد البضـائع وتسـويقها علـى طـول السـاحل الشـمالي للمغـرب، حيـث عمـل مـن أجـل تحقيـق ذلـك، علـى تأسـيس شـركة أسـماها: "الشـركة الإسـبانية لشـمال إفريقيـا "، وجعـل مقرهـا في الجـزر الجعفريـة. في نفـس الوقـت، نسـق مـع شـركات تجاريـة أخـرى كانـت تسـتقر في وهـران وفي مـدن إسـبانية

---

[92] - قاعدة عسكرية أنشأها الروس في منطقة منشوريا، كانت خلال الحرب الروسية اليابانبة مسرحا لمعارك عنيفة.

[93] - فالرينو وايلر: عسكري إسباني تولي مناصب مهمة، من بينها حاكم العام للفلبين والحاكم العام لجزيرة كوبا.

[94] - Telegramas citados en España, Alemania y Chafarinas

لأجـل نفـس الهـدف. ولضـمان نجـاح المشـروع، كـان لابـد مـن تحريـر التجـارة مـع كـل السـاحل الشـمالي للمغـرب، لـذلك خطـط خيمينـث للقيـام بحملـة دعائيـة تـدافع عـن فكـرة تحريـر التجـارة، [95] إلا أنـه، رغـم هـذه الجهـود، لـم يـتمكن مـن تحقيـق المشـروع، لأنـه بكـل بسـاطة، لـم يكـن قـابلا للتطبيـق بـالنظر إلى الإمكانـات الضـعيفة للجـزر الجعفريـة، ولأسـباب أخـرى عديـدة. [96]

فـي هـذا السـياق، كـان مـن الممكـن اعتبـار فشـل مشـروع خيمينيـث مجـرد فشـل تجـاري، لـولا رسـالة كتبهـا مـواطن فرنسـي كـان يقـيم في منطقـة واد كـيس اسـمه ليـون دوبوشـيف Leon Dubochef، نُشـرت ضـمن عـدد 2 شـتنبر 1901 مـن جريـدة لـو سـيكل الباريسـية، والتـي أعـادت نشـرها الجرائـد الإسـبانية، وقـد تحـدث في هـذه الرسـالة عـن زيارتـه للجـزر الجعفريـة ولقائـه بخيمينيـث، الـذي قـدم نفسـه باعتبـاره مالـك جزيـرة الملـك بموجـب الأمـر الملكـي المـؤرخ في 5 غشـت1902، والـذي أعطـاه حق التصرف في هذه الجزيرة لإقامة وكالة تجارية أو مصنع.

كمـا تفـاخر خيمينيـث بصـداقته القويـة مـع الجنـرال وايلـر، واقتراحـه عـزل حـاكم الجـزر بـابلو أرتـال إي عبـاد Pablo Artal y Abad، العقيـد في سـلاح المدفعيـة، واسـتبداله بالرائـد رافاييـل ريبـول أي كـابريرا Rafael Ripoll y Cabrera، نظـرا لكونـه،

---

[95] - España, Alemania y Chafarinas.

[96] - El Liberal 23/09/1902.

حسب خيمينيث، جد متحمس لتسهيل مشاريعه أكثر من العقيد بابلو أرتال.[97]

في هذا الصدد، أثار محتوى الرسالة زوبعة إعلامية، في وقت كانت المسألة المغربية تعرف فيه تطورات متسارعة، لذلك، سارعت الحكومة إلى تكذيب منح امتياز لشركة خيمينيث. في موازاة ذلك، أثيرت قضية الجزر الجعفرية داخل البرلمان البريطاني، حيث تردد ضمن المراسلات العسكرية البريطانية المؤرخة في 5 غشت 1902، صدى سؤال طرحه أحد أعضاء مجلس العموم حول صحة الشائعة التي تروج بخصوص التنازل عن الجزر الجعفرية لصالح روسيا، حيث كانت زوجة خيمينيث روسية الأصل كما سبقت الإشارة.

[97]- El Día, El País y La Correspondencia de España del 20/09/1902. La Dinastía 23/04/1902.

- تهريب السلاح وتبعاته:

كان السلاح والذخيرة من أكثر السلع التي تلقى رواجا لدى المهربين المغاربة، إذ مع وصول الطامح إلى عرش المغرب المعروف بالروغي[98] إلى وادي ملوية، تزايد الطلب على الأسلحة المهربة، مما مكن المهربين والمتواطئين معهم من التوفر على قوة اقتصادية، وعلى نفوذ أصبحت معهما سلطة حكام الجزر مهددة. وقد أصبحت الصحافة العسكرية تتحدث عن النفوذ الذي أصبح لهؤلاء " التجار "، إلى درجة تهديد المسار المهني للحكام الذين لا يسايرون مشاريع المهربين.[99]

في هذا الصدد، قد يكون هذا النفوذ مجرد تعبير عن رغبة السكان المدنيين في تسيير شؤون جماعتهم الصغيرة، وقد كان هذا الدور منوطا بهيئة الحكام Junta de Arbitros، وهو جهاز تأسس سنة 1897، يرأسه حاكم الجزيرة، في حين، كان جميع أعضائه من العسكريين، حيث بقي على تلك الشاكلة إلى أن تم تطبيق مجموعة من التعديلات سنة 1902.

لقد تكشفت قضية تهريب السلاح للرأي العام بعد نشر جريدة إل ديا في عدد 10 نونبر 1902، رسالة وصلتها من مليلية وتحمل توقيع شخص اسمه مصطفى، جاء فيها أنه في مستهل شهر أكتوبر غادر قارب دون إذن الجزر، متوجها نحو الساحل المغربي، وخلال نفس الليلة اكتشف تعرض نوافذ

---

[98] - الجيلالي الزرهوني أو بوحمارة، ثائر مغربي سيطر على المغرب الشرقي فيما بين 1902 و 1909 وهدد بشدة حكم مولاي عبد العزيز.

[99] - La Correspondencia Militar 24/02/1903.

ثكنـــة المدفعيـــة إلـــى الكســـر، وأن بنـــدقيتي ريمنغتـــون Remington قـد فقـدتا. عنـد عـودة القـارب في اليـوم التـالي ألقـي القـبض علـى طاقمــه، وتمــت مصــادرة مبلــغ ســبعين دورو مــن القبطان، الذي اشتُبه في أنه حصل عليها من بيع البندقتين.

وعلى الـرغم مـن فـتح تحقيـق، ونشـر كـل مـن جريـدة إل ديـا، والجريـدة العسـكرية، لسلسـلة مقـالات تكشـف عـن تعقيـدات هــذه التجــارة المخالفــة للقــانون، فلــم يــتم الكشــف عــن كــل جوانب هذه القضية.

في هـذا السـياق، تركـز تهريـب السـلاح على بنـادق رمنغتـون، التي كـان يطلـق عليهـا المغاربـة ميريكـانوس، نسـبة إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة حيـث كانـت تُصـنع، رغـم أن مسـتورديها كـانوا إسـبانا وبلجيكيـين. كـذلك، اسـتخدمت جزيـرة كونغريسـو غيـر المأهولـة لإخفـاء الأسـلحة إلى حـين بيعهـا للمشـترين المغاربـة، وقـد ذكــرت الصــحافة أســماء بعــض أولئــك المهــربين ك " كُــورُّو " و"تينيوســــو "و" حميــــد النيكــــرو "و" شــــورليطو "، واســــمه الحقيقـي هــو حميــد بــن ولاد الحــاج، والــذي كــان أكبــر مهــرب للســلاح فـي المنطقــة، وتمكــن مــن تكــوين عصــابة مــن أفــراد عائلتــه، تخصصــت فـي تهريــب الســلاح مــن الجــزر الجعفريــة، وكذا سرقة الماشية في منطقة كبدانة وواد كيس.

وقــد تمكــن " شــارليطو" مــن بيــع قســم مــن المســروقات (خصوصـا الماشـية) لسـكان الجـزر الجعفريـة، بعـد نقلهـا لـيلا إلى هنــاك، لكنــه لقــي حتفــه عنــد محاولتــه توســيع أنشــطته الإجراميـة لتشـمل تهريـب السـجناء، حيـث قتـل خـلال اشـتباك

مع المكلفين بالحراسة في جزيرة إيسابيلا سيغوندا، وكان ذلك يوم 9 دجنبر سنة 1901. [100]

- الجزر الجعفرية وبداية التحركات الاسبانية في المغرب

خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، اتخذت الحكومة الإسبانية قرارا بتأهيل الجزر الجعفرية، خصوصا مع تجدد الاهتمام بالتدخل في المغرب، وكان من بين مشاريع التي تمت برمجتها، إنشاء الميناء. حيث كانت المشاريع التي بدأ تنفيذها سنة 1906، تعني ازدهار الجزر وتدفق الاستثمارات وازدياد عدد السكان.

في هذا الصدد، نشطت المبادلات التجارية مع قبيلة كبدانة بعد احتلالها من طرف جيش الروكي بوحمارة، الدعي الساعي إلى عرش المغرب، بحيث كانت القوارب تأتي إلى الجزر ثم تعود بكل حرية، محملة بالسلع التي كانت تباع لسكان المنطقة، بمن فيهم جنود المحلة المخزنية الذين ظلوا هناك.

من خلال المعطيات الاقتصادية المتعلقة بمناطق السيادة الصغيرة، والتي جمعها المؤرخ غابرييل دي موراليس Gabriel de Morales، [101] نجد بأن الجزر الجعفرية صدرت الحلفاء، الفحم والشعير بقيمة 2232 بسيطة، واستوردت الثياب،

[100] - La Correspondencia Militar 11/02/1903; 12/02/1903; 24/02/1903. El Día 11/02/1903; 13/ 02/1903.

[101] - عسكري ومؤرخ إسباني شغل منصب قائد الشرطة الأهلية في الريف الشرقي. قتل في معركة أنوال سنة 1921.

الشـــاي، الـــدقيق، الصـــابون، القهـــوة، الســـكر، الملـــح وســـلعا أخـــرى بقيمـــة 489.318،50 بســـيطة، وجـــرى بيـــع معظـــم هـــذه الســـلع المســـتورة لتجـــار كبدانـــة. وقـــد اســـتمرت هـــذه التجـــارة لســـنوات عـــدة، حيـــث نجـــد في جريـــدة مينـــاء قرطجنـــة لشـــهر مـــارس 1921، خبر وصـــول ســـفينة أنخيلـــيس وعلـــى متنهـــا حمولـــة من الفحم قادمة من الجزر الجعفرية.[102]

ورغـــم ذلـــك، لـــم يكـــن هـــذا التبـــادل التجـــاري قائمـــا علـــى أســـس متينـــة تضـــمن لـــه للاســـتدامة، لـــذلك اختفـــى في وقـــت قصـــير، كـــذلك، كـــان الشـــأن بالنســـبة لأهميـــة مينـــاء الجـــزر الجعفريـــة كملجـــأ للســـفن خـــلال الطقـــس الســـيء، والتي تلاشـــت مـــع احـــتلال شـــبه جزيـــرة قلعيـــة[103] خـــلال حـــرب 1909، حيـــث أصـــبح بإمكـــان الســـفن الرســـو في ســـاحلها الغربـــي إذا مـــا هبـــت ريـــاح شـــرقية قويـــة، مـــع إمكانيـــة التواصـــل مـــع مدينـــة مليليـــة عبر البر، ولهـــذا لـــم يـــتم إصـــلاح الرصـــيف الـــذي كـــان يـــربط جزيـــرة إيســـابيلا ســـيغوندا بجزيـــرة الملـــك عقـــب انهيـــاره بســـبب عاصـــفة ضـــربت الجزر في مارس 1914.

مـــن جانـــب آخـــر، أثـــر احـــتلال راس المـــا مـــن طـــرف فرقـــة المشـــاة المتمركـــزة بـــالجزر تحـــت قيـــادة العقيـــد أوخينيـــو أنكـــا Eugenio Anca، ســـلبيا على أهميـــة الجـــزر، التي فقـــدت بعضـــا مـــن نشـــاطها التجـــاري لصـــالح القريـــة التي أقيمـــت بجانـــب الثكنـــة العســـكرية،

---

[102] - La Tierra 09/03/1921.

[103] - شبه جزيرة توجد في الشمال الشرقي للمغرب، تضم العديد من المدن أهمها مليلية والناضور...

والتي بررت الحكومة الإسبانية إنشاءها بكونها استجابة لطلب تقدم به أعيان قبيلة كبدانة، لمساعدتهم على حماية مخزن المؤن الذي أقيم براس الماء لتلبية الحاجيات المتزايدة لسكان الجزر، الذين تزايد عددهم مع قدوم العديد من العمال المشتغلين في ورش بناء الميناء.

- حرب 1909[104]

كان الدور الرئيسي الذي أنيط بالجزر الجعفرية خلال هذا الصراع، هو اعتبارها ميناءا تلجأ إليه السفن المحملة بالمؤن والذخائر والجنود، والمتوجهة إلى مليلية، في حالة هبوب رياح شرقية قوية، مثلما حدث أثناء حصار سنتي 1774 - 1775 [105]، وخلال حملة 1894، المعروفة بحملة مارغايو Campaña de Margallo، كما استخدمت الجزر سنة 1909 كمخزن للفحم المخصص للسفن الاسبانية.

في هذا الصدد، واجهت سفينة مونتيفيديو المملوكة لشركة ترانس أتلانتيكا Transatlántica والتي كانت تحمل فرقا عسكرية يوم 13 يوليوز، عاصفة قوية، اضطر معها الطاقم إلى البحث عن مرسى آمن في الجزر الجعفرية. نفس الشيء حصل مع سفينة بوينوس أيريس، التي رست بمرسى

[104] - مجموعة من المواجهات المسلحة التي وقعت ما بين سنة 1909 وبداية سنة 1910 بين الجيش الإسباني وقبائل قلعية بقيادة الشريف أمزيان.

[105] - حصار ضربه الجيش المغربي على مدينة مليلية على عهد سيدي محمد بن الله، وقد استمر أربعة أشهر.

الجزر في اليوم الموالي. وقد تكرر ذلك باستمرار طيلة أيام الحملة، وفي كل مرة تهب فيها رياح شرقية قوية. في موازاة ذلك، تم استخدام مستشفى الجزر خلال الحملة لتخفيف الضغط عن مستشفى مليلية، الذي كان يعالج فيه الجنود المرضى، والمصابون الذين يقضون فترة نقاهة.[106]

لقد تحققت الأدوار الصغيرة التي قامت بها الجزر الجعفرية، بسبب إحجام قبيلة كبدانة عن مساندة قبائل قلعية. وكذلك، بسبب بقاء المناطق القريبة من الجزر هادئة طيلة فترة الصراع، حتى جرى احتلالها فعليا خلال شهر شتنبر، انطلاقا من راس الما بواسطة فرقة تحت قيادة العقيد لاريا Coronel Larrea.

خلال هذه العملية، سقط عدد قليل من القتلى، من بينهم الجندي فرانثيسكو نيبوط، الذي توفي براس الما نتيجة للجراح التي أصيب بها، وجرى دفنه في مقبرة الجزر الجعفرية بعد أن نقلت جثته إلى جزيرة إيسابيلا سيغوندا على متن سفينة لا سيرينا المستأجرة من طرف صحيفة لاكورسبونديثيا دي إسبانيا، و قام بحمل جثمانه إلى مثواه الأخير، كل من الصحفيين أرمينيان Armiñán، ليوبولدو روميو Leopoldo Romeo (مدير الصحيفة)، غييرمو ريتواغنGuillermo Rittwagen، وفيرير Ferrer.[107]

---

106 - ABC 23/10/1909.

107 - El Telegrama del Rif 18/08/1909.

في سياق آخر، كانت السفينة البخارية لاسيرينا Sirena مخصصة لنقل التقارير الصحفية التي كان يعدها محررو صحيفة لاكورسبونديتثيا دي إسبانيا La *Correspondencia de España* المقيمين بمدينة مليلية، إلى محطة التلغراف الموجودة في الجزر الجعفرية، لتفادي الرقابة العسكرية المفروضة على مليلية، عبر إرسال المعلومات بواسطة أسلاك البرق الذي كان يربط الجزر بمدينة الغزوات، [108] والذي أقيم في السنة السابقة –1908. ويبدو أن هذه الحيلة لم تكن فعالة، لأن السلطات تمكنت من اعتراض البرقيات عند وصولها إلى مدريد. [109]

---

[108] - مدينة جزائرية تابعة لولاية تلمسان، وتوجد بالقرب من الحدود المغربية الجزائرية.

[109] - Las comunicacionesmarítimas de Melilla en 1909

ثانيا - استغلال الثروات السمكية بالجزر الجعفرية

- اللجنة العلمية لسنة 1908: علماء البحار الاسبان يوجهون اهتمامهم نحو الجزر الجعفرية

كانت المنطقة البحرية الموجودة بين رأس المذرات الثلاث Tres Forcas، [110] الجزر الجعفرية وراس الما سنة 1908، محط اهتمام أولى البعثات العلمية المنظمة من طرف مختبر الأحياء البحرية بجزر البليار، (صار يسمى فيما بعد بالمعهد الإسباني لعلوم البحار)، والذي كان يرأسه عالم البحار والسياسي الجمهوري أودون دي بوين Odón de Buen الحاصل على الدكتوراه في علم الأحياء من جامعة برشلونة، وممثل هذه المدينة في مجلس النواب.

وقبل ذلك بعقود كان ألبير الأول، أمير موناكو Alberto de Mónaco، ومؤسس علم المحيطات، قد قام سنة 1877 برحلة علمية إلى الجزر الجعفرية على ظهر يخته " لا هيروندديل "La Hirondelle، وقد قادته تلك الرحلة أيضا إلى مليلية، وإلى جزيرة البرهان[111] وكذلك إلى مدينة وهران. [112]

- رأس بحري يقع في أقصى شمال شبه جزيرة قلعية.[110]

[111]- جزيرة تقع في البحر الأبيض المتوسط بين المغرب وإسبانيا، تتبع إقليم ألميريا الإسباني. مساحتها سبعة هكتارات، وهي كذلك إحدى الجزر المتنازع عليها بين البلدين.

[112] - La Época 28/07/1877.

وصـل أودون دي بـوين إلى مليليـة في الأيـام الأولى مـن شـهر يوليـوز سـنة 1908، وفي العشـرين مـن نفـس الشـهر زار الجـزر للمـرة الأولى، وانطلقـت على إثـر ذلـك الأبحـاث تحـت إشـرافه الفعلي، وبمشـاركة كـل مـن لـويس لوثـانو المتخصـص في الأحيـاء البحريـة، وكـارلوس بـاريلا المتخصـص فـي البلانكتـون، وكـذا علمـاء آخـرين. في نفـس الوقـت، تـم أخـذ عينـات مـن الأحيـاء البحريـة، والقيـام بالعديـد مـن عمليـات التجريـف لتحديـد طبيعة قاع البحر.

وقـد تحققـت اللجنـة مـن مـدى غنى ميـاه المنطقـة بالأسـماك، بسـبب تيـارات مضـيق جبـل طـارق، حيـث تتواجـد بالمنطقـة الكثير مـن الأنـواع التي تعـيش بـالمحيط الأطلسـي. وقـد اختتمـت البعثة العلمية الأولى في شهر شتنبر من نفس السنة.

عـادت اللجنـة العلميـة في سـنة 1909 لاسـتكمال الأبحـاث، واسـتمرت في عملهـا إلى أن قامـت الحـرب ضـد قبائـل قلعيـة، حيـث توقفـت عـن نشـاطها، ولـم تسـتأنفه مـرة أخـرى إلا في شـهر يوليـوز مـن سـنة 1910، وكانـت اللجنـة العلميـة خـلال هـذه المرة تتـوفر على مركـب شـراعي مخصـص للأبحـاث البحريـة، أطلـق عليه اسم ابن رشد، وتكون طاقمه من قبطان وثلاثة بحارة.

- انطلاقة نشاط الصيد البحري

مـع احـتلال أراضـي قبائـل قلعيـة وكبدانـة، أصـبح بإمكـان البحـارة الإسـبان الاسـتفادة مـن مجـال بحـري واسـع، معـروف

منذ القدم من بغناه من حيث الثروات السمكية، وهو ما تأكد عمليا بفضل النتائج التي توصلت إليها البعثة العلمية التي أشرف عليها أودون دي بوين.

تختلف أنواع السمك الموجودة في المياه القريبة من الجزر الجعفرية باختلاف فصول السنة، ففي فصلي الربيع والصيف تكثر الأسماك، خصوصا السردين والأنشوبة التي تجذب أسماك البينيت[113] وأسماك التونة، التي تستعمل القناة الفاصلة بين الجزر الجعفرية وراس الما أثناء هجرتها، وأيضا لتسمين اليرقات، هذا الغنى في الموارد السمكية دفع إلى التفكير في إقامة مجموعة من مشاريع الصيد بالمضربة.

ورغم ذلك، ظلت الجزر الجعفرية هامشية بالنسبة لنشاط الصيد البحري بمليلية، لأنه من جهة، كان على سفن الصيد الشراعية، نقل الأسماك المصطادة في مياه الجزر نحو شبه الجزيرة الأيبيرية، أو الإبحار 24 ميلا، وهي المسافة التي تفصل الجزر عن مدينة مليلية، وهي مسافة كبيرة بالنسبة لأنواع سفن الصيد التي كانت موجودة في تلك الفترة، والتي كان إبحارها يتوقف على هدوء البحر، ومن جهة أخرى، كان هذا النوع من السفن يفتقر إلى وسائل المحافظة على الأسماك بحالة جيدة أثناء نقلها، خصوصا خلال فصل الصيف، لكن كل هذا سيتغير مع انتشار السفن ذات المحرك وشيوع استعمال السيارات.

---

[113] - سمك شائع من فصيلة الأسقمري، يعرف محليا ب بونيطو.

وقد كان من العادي جدا، في صيف 1916 أن تعود سفن الصيد محملة يوميا بما يتراوح ما بين 1000 و1500 سمكة تونة، يتراوح وزنها ما بين 2 و 2.5 كيلوغرام، وهذه أحجام صغيرة بالنسبة لسمك التونة، وهذا ما أدى إلى استنزاف الثروة السمكية.[114]

وفي وقت لاحق، ظهرت سفن صيد تعتمد على الإنارة، عرفت بسفن الجر، و كان بحارتها يستخدمون الشباك ذات العيون الصغيرة، والمستخدمة عادة في صيد سمك السردين، وهو ما أدى إلى زيادة كبيرة في كمية الإنتاج بسبب اصطياد ا أنواع الصغيرة.

و كان قسم من الكميات المصطادة يحتفظ به عن طريق تمليحه أو وضع الثلج عليه، لتصديره إلى شبه الجزيرة، أما القسم الآخر، فكان يوجه للاستهلاك بالجزر الجعفرية ومليلية والمناطق المجاورة.

كما تم التفكير في إقامة مشاريع لتمليح وتعليب أسماك السردين والأنشوبة بالجزر الجعفرية، لكنها لم ترى النور. وعلى الرغم من أن الكميات المصطادة لم تكن تُصَنَّع في الجزر، إلا أن البحارة الذين كانوا يصطادون بالمياه المحيطة بها، والذين كانوا يستعملون ميناء جزيرة إيسابيلا سيغوندا، في حالات رداءة الطقس، و للتزود بالمؤن، وخصوصا الخبز،

---

[114] - Algunos datos sobre el sector pesquero melillense.

وفي بعـض الأحيـان أخـذ قسـط مـن الراحـة، سـاهموا في جلـب بعض الرواج لأصحاب المحلات التجارية والحانات.

ثالثا - فترة حرب الريف والحماية

- الجزر الجعفرية خلال فترة حرب الريف

كمـا كـان الحـال عليـه خـلال فتـرة حـرب سـنة 1909، لعبـت الجـزر الجعفريـة دورا ثانويـا في الحمـلات العسـكرية التي قامـت بهـا إسـبانيا لاحـتلال منطقـة حمايتهـا بشـمال المغـرب، بخـلاف مليليـة التي كـان تعـرف نمـوا اقتصـاديا وديموغرافيـا وحضـريا استثنائيا. ولـم تسـتفد الجـزر الجعفريـة كثيرا خـلال تلـك الفترة مـن تلـك المسـتجدات الطارئـة، وباسـتثناء وصـول خيـوط الكهرباء سنة 1922، فإن حالة الجزر لم تتحسن كثيرا.

لقـد تـزامن الـدور المهـم للجـزر الجعفريـة مـع مـا يسـمى كارثـة أنـوال،[115] التـي سـببتها انتفاضـة القبائـل ضـد السـلطات الإسـبانية، حيـث انضـم العديـد مـن الكبـدانيين إلـى صـفوف المنتفضـين، ممـا دفـع بالسـلطات العسـكرية إلـى إخـلاء المواقـع الداخليـة. أمـا راس المـا، فقـد ظـل تحـت سـيطرة القـوات الإسـبانية، في حـين، تـم إجـلاء السـكان المـدنيين نحـو الجـزر، التي تحولـت تحـت قيـادة أرسـينيو فـوينتيس إلى قاعـدة خلفيـة للوحدات الموجودة في راس الما.

[115] - معركة وقعت يوم 1921/7/17 بين الجيش الإسباني والمقاومين المغاربة بقيادة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وكمـا كـان الحـال عليـه في سـنة 1909، فقـد أقـيم في جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا مسـتودع للفحـم لتزويـد البحريـة الإسـبانية، حيـث كانـت الفرقاطـة بونيفـاز خـلال المراحـل الأولى مـن حـرب الريـف، تقـوم بواسـطة مـدفعيتها بحمايـة قاعـدة راس المـا والممـر المـائي الـرابط بينهـا وبـين الجـزر الجعفريـة، والـذي كـان ضـروريا لنقل المؤن والفرق العسكرية.

فـي مـوازاة ذلـك، احتضـنت الجـزر الجعفريـة العـائلات الإسـبانية الهاربـة مـن التمـرد القبلي، والتي جـاء بعضـها مـن راس المـا مباشـرة، والـبعض الآخـر مـن المنطقـة الفرنسـية. هكـذا، كـان يوجـد في الجـزر خـلال بدايـة شـهر غشـت (1921) حـوالي 180 لاجئـا، وكـان هنـاك ألـف آخـرون مـوزعين بـين بـور سـاي Port Say[116] وبركـان ووجـدة، والـذين يعتقـد أنهـم مـروا عبـر الجـزر الجعفريـة، دون أيـة مـوارد، حيـث كـان علـى السـلطات العسكرية أن تقدم لهم المأوى والمساعدة.[117]

كمـا وافقـت السـلطات في شـتنبر على مصـادرة الممتلكـات التي توجـد بـالجزر، والتي تعـود ملكيتهـا إلى الكبـدانيين المشـاركين في التمـرد. كـذلك، وكمـا كـان الشـأن عليـه في سـنة 1909، فقـد تـم نقـل الجنـود المرضـى والمصـابين والجرحـى الـذين هـم في فتـرة نقاهة إلى مستشفى الجزر.[118]

---

[116] - مدينة حدودية جزائرية تسمى حاليا مرسى بن مهيدي.

[117] - La Correspondencia de España 01/08/1921.

[118] - El Imparcial 20/09/1921.

من جانب آخر، أدت الزيادة السكانية الكبيرة إلى مشكلة في التموين، مما أجبر هيئة الحكام على شراء الماشية والمؤن الضرورية لتوفير التموين اللازم.[119] بعد تلك المرحلة المضطربة التي تزامنت مع بداية الحرب، عاد الهدوء إلى الجزر الجعفرية، و لم تعد هناك أية مواجهات عسكرية.

في هذا السياق، بقيت الجزر تمارس دورها كمكان يقضي فيه الجنود الجرحى فترة نقاهتهم، ومعتقلا للأشخاص الذين يشتبه في علاقتهم بتمرد قبائل الريف وقلعية، ومن بينهم إدريس بن سعيد[120]، الذي يشاع بأنه ترجم رواية دون كيشوت إلى اللغة العربية، ومحمد العصماني Mohamed Asmani المعروف بمورو غاطو، الذي كان محل ثقة الإسبان في مليلية خلال حرب 1909، بالإضافة إلى عدد من النساء والأطفال ينتمون إلى قبيلة بني سعيد، والذين أخذوا كرهائن لإجبار القبيلة على الاستسلام.

وبعد استسلام محمد بن عبد الكريم،[121] تم اقتياد بعض رجاله المقربين، ومن بينهم حميد بودراع، إلى معتقل الجزر. كذلك، احتضن سجن الجزر بعض المعتقلين العسكريين المتهمين بالتقصير أثناء معركة أنوال، من بينهم، العقيدين السابقين خيمينيث أوروس Jinenez Oros ورفاييل

[119] - El Imparcial 13/11/1921.

[120] - أحد رجال المخزن عمل في دار النيابة، وتولى مناصب أخرى، كما لعب دور الوسيط بين الأسبان والخطابي في قضية الأسرى.

[121] - يقصد المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

غـايبغو Rafael Gallego، القائـد ثيرينيـولا لاريـا Ceriñola، النقيــب ســيبانتوس والملازمــان بلاخــا ودابينــا، وتــم بعــد ذلــك بوقــت قصـير، إطـلاق ســراحهم جميعـا، الـبعض بسـبب انقضـاء مــدة العقوبــة الســجنية، والــبعض الآخــر، نظــرا لتمتعيــه بالعفو.[122]

- الجزر الجعفرية خلال فترة الحماية

لــم تجلــب نهايــة الحــرب أيــة مســتجدات للجــزر الجعفريــة، بحيــث واصــلت تراجعهــا البطــيء الــذي اســتحال إيقافــه. فقــد دفعــت الحاجــة إلى تنميــة وتــأمين المنــاطق الخاضــعة لإســبانيا إلى الاهتمـام ببلـدات مثـل بيـا سـان خورخـو Villa Sanjurjo، [123] وراس المـا، علـى حسـاب الممتلكـات الإسـبانية القديمـة، كصـخرة نكـور Peñón de Alhucemas، صـخرة بـادس Peñón de Vélez والجزر الجعفرية.[124]

في هـذا الصـدد، تـم في شـهر شـتنبر مـن سـنة 1926 تـم نقـل القيـادة العسـكرية التي كانـت في صـخرة بـادس إلى طـوريس دي ألكـالا ، [125] والتي كانـت في صـخرة نكـور إلى بيـا سـان خورخـو[126]، والتي كانــت في الجــزر الجعفريــة إلى وراس المــا. لكــن في حالــة

---

[122] - La Voz 24/07/1924.

[123] - بيا سان خورخو، اسم كان يطلق على مدينة الحسيمة إبان الحماية الإسبانية.

[124] - LaVoz 16/09/1926.

[125] - قرية مغربية توجد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتتبع حاليا إقليم الحسمية.

[126] الحسيمة حاليا.

الجزر الجعفرية لم يدم ذلك إلا مدة قصيرة، حيث تم سحب مفرزة المشاة من راس الما، وإعادة القيادة العسكرية مرة أخرى إلى الجزر الجعفرية. [127]

أما على المستوى الاقتصادي، فقد تم إلغاء العديد من الامتيازات التي كان يتمتع بها الميناء الحر، حيث فرضت إدارة الجمارك التابعة للحماية الإسبانية الواجبات الجمركية على السلع المصدرة للمغرب. ومن أجل تعزيز المبادلات التجارية بين مناطق السيادة ومنطقة الحماية، تقرر بموجب الأمر الملكي المؤرخ ب 3 أبريل 1913، تشكيل لجنة لدراسة السبل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف. [128]

في هذا السياق، اقترحت هذه اللجنة تخفيض الضرائب الجمركية المفروضة على السلع المستوردة، ليتم تصديرها للمغرب، بالإضافة إلى تقليص تكاليف شحن السلع نحو مناطق السيادة Plazas de Soberanía[129] لتكون لها قدرة تنافسية، لكن هذه الاقتراحات لم تطبق على أرض الواقع، بل بقيت حبرا على ورق. [130]

في نفس الوقت، صدر أمر ملكي سمح بإنشاء موانئ تجارية في راس الما، أركمان، سيدي موسى والناضور.

---

[127] - La Correspondencia Militar 25/10/1928.

[128] - Boletín zona española 01/04/1913.

[129]- المناطق الخاضعة للسيادة الإسبانية بالساحل المغربي: سبتة،مليلية،صخرة نكور،صخرة بادس والجزر الجعفرية.

[130] - Boletín zona española25/08/1913.

ورغـم تـوفر ميناء راس المـا على مكتب جمـارك يمكنـه مـن إقامـة مبـادلات تجاريـة مباشـرة مـع الجـزر الجعفريـة، إلا أن البضـائع كانـت تنقـل مـن هنـاك نحـو ميناء مليليـة، ممـا أدى إلى تراجـع حـاد في نشـاط الميناء الحـر للجـزر الجعفريـة، ونتيجـة لذلك فقد سنة 1934 وضعيته كميناء حر. [131]

وكمثـال علـى ذلـك، نـذكر بأنـه فـي سـنة 1926 كانـت المواصـلات البحريـة بـين الجـزر ومليليـة تقتصـر علـى رحلـة واحـدة أسـبوعيا على مـتن سـفينة غانـديا ذات الستة والثلاثـين مترا، وكانـت المغـادرة تـتم في منتصـف نهـار يـوم السـبت، والعـودة تكـون يـوم الأحـد. غير أن قـرب الجـزر مـن راس المـا، جعـل مـن الممكـن السـفر إلـى مليليـة عبـر البـر في وقـت قصـير إذا كـان الطقس يسمح بالعبور.

أمـا فيمـا يتعلـق بالصـيد البحـري، فقـد واصـل تطـوره لكـن مـع مخالفـة تامـة لقـوانين الصـيد، ممـا كـان يهـدد باسـتنزاف الثـروة السـمكية. هكـذا، قامـت السـلطات البحريـة في صـيف 1927 بـدوريات تـم علـى إثرهـا إيقـاف سـبع سـفن صـيد كانـت تصـطاد في منطقـة محظـورة، ومصـادرة 145 صـندوق سـمك، وتوجيهـا إلى مليليـة في انتظـار صـدور العقوبـات في حـق مـلاك السفن المخالفة.[132]

---

131 - Islas Chafarinas pág. 80.

132 - La Correspondencia Militar 09/08/1927

وخلال فترة النظام المديري العسكري لبريمو دي ريبيرا،[133]، تم نفي العديد من المعارضين إلى جزيرة إيسابيلا سيغوندا، من بينهم الكاتب فرانثيسكو كاسيو، وأرتورو كاسا نويبا، والسياسي ورجل القضاء خيمينيث دي أسوا.

كذلك، استقبلت الجزر الجعفرية خلال الفترة الأخيرة من حكم الملك ألفونسو 13، 41 رقيبا وجنديا من أجل استكمال الأحكام التي صدرت في حقهم من طرف القضاء العسكري، بسبب مشاركتهم في التمرد الذي قام به جنود جمهوريون في ثكنة خاكا Jaca[134]، حيث وصلوا إلى هناك يوم 4 أبريل 1931. ومع إعلان الجمهورية يوم 14 أبريل من نفس السنة،تم إطلاق سراحهم، ووصلوا في اليوم الموالي إلى مليلية، حيث استقبلوا بحفاوة بالغة.

- الجزر الجعفرية خلال فترة الجمهورية، الحرب الأهلية، وحكم الجنرال فر لكو

مع قيام الجمهورية، شارك سكان الجزر الجعفرية بجانب سكان سبتة ومليلية في المطالبة بالمساواة في الحقوق المدنية مع باقي أفراد الأمة الإسبانية. وقد تمثل هذا التحرك المدني في بعض المظاهرات، وتوجيه العرائض إلى الحكومة.

---

[133] - جنرال رفيع حكم إسبانيا ما بين سنوات 1923 إلى وفاته سنة 1930، عرفت فترة حكمه ب"النظام المديري العسكري El Directorio Militar

[134] - بلدة تقع شمال شرق إسبانيا ضمن إقليم هويسكا.

في هذا الصدد، قدم فرع حزب الاتحاد الجمهوري بمدينة مليلية يوم 23 غشت 1931 العلم الجمهوري لمجلس الخدمات البلدية بالجزر الجعفرية، تقديرا له على حسن المعاملة التي تلقاها الجنود الذين شاركوا في تمرد خاكا خلال فترة نفيهم إلى الجزر كما أشرنا سابقا. وقد جيء بالعلم إلى الجزر عبر راس الما، وحملته لجنة تمثل الحزب كان من بين أعضائها، السيدان رامون وإداوردو دي بوسطوس، وهما من أهم القادة الجمهوريين في مليلية. وحسب جريدة تليغراما ديل ريف، فقد اطلع القادة الجمهوريون على الإهمال الذي طال سكان الجزر، والذي بدا ظاهرا للعيان، من خلال تدهور جميع مباني جزيرة إيسابيلا سيغوندا. [135]

في هذا السياق، قام ممثلون عن سكان الجزر بعد فوز الجبهة الشعبية [136] بالانتخابات، بإرسال برقية تهنئة إلى كل من السيد لويس بارينا، الفائز بمقعد في مجلس النواب عن مدينة مليلية، وإلى زعماء الجبهة الشعبية، بينوا فيها بأنهم شاركوا في الانتخابات رغم استحالة تنظيمها في الأرخبيل، وطالبوا بمنحهم الحقوق المدنية، وفي الختام اقترحوا تغيير اسم الجزر الثلاث إلى الحرية والإخاء والمساواة.[137]

---

[135] - El Telegrama del Rif 25/08/1931

[136] - تحالف انتخابي بين عدة منظمات يسارية إسبانية، ترأسه مانويل أثانيا، الذي فاز بمنصب الرئاسة في انتخابات 1936.

[137] - El Heraldo de Madrid 25/02/1936.

مـن جانـب آخـر، لـم يكـن للتمـرد العسـكري الـذي حصـل يـوم 17 يوليـوز 1936، صـدى مباشـرا داخـل الجـزر. في حـين لـم يطـل القمع الفرانكاوي إلا فئة محدودة جدا من السكان. [138]

كـذلك، لـم تتعـرض الجـزر خـلال الحـرب الأهليـة الإسـبانية إلى القصـف الجـوي أو البحـري، حيـث انقضـت سـنواتها الـثلاث دون أحـداث تـذكر، باسـتثناء فـرار ثمانيـة بحـارة إلى الجزائـر على مـتن مركـب الصـيد أنطونيـو مارفيـل الـذي كـان راسـيا في مينـاء مليليـة بعـد حصـولهم على تـرخيص بالصـيد في ميـاه الجـزر الجعفريـة مـن طـرف السـلطات الفرانكويـة، حيـث أبحـروا يـوم 17 مـاي 1937 نحـو وجهـتهم قبيـل الفجـر كمـا كـان معتـادا. لكـن، عنـدما لفـت انتبـاههم غيـاب خفـر السـواحل، توجهـوا نحو الغزوات، وهناك انقطعت أخبارهم منذ ذلك الحين. [139]

في السـياق ذاتـه، لـم تكـن فترة مـا بعـد الحـرب قاسـية على الجـزر كمـا كـان الحـال عليـه في منـاطق أخـرى، حيـث كـان بإمكـان السـكان التزود بـالمؤن مـن راس المـا، أمـا الخبـز والأسـماك، فقـد كانا متوفرين بشكل دائم، رغم قلة جودتهما. [140]

رغـم ذلـك، فقـد تـم الاحتفـال خـلال تلـك السـنوات المظلمـة بمـرور قـرن على احـتلال الجـزر، [141] عبـر تنظـيم اسـتعراض عسـكري في مليليـة. كمـا وقعـت خلالهـا أيضـا عاصـفة شـديدة في

---

138 - Islas Chafarinas pág. 84

139 - LaVoz 01/06/1937.

140 - Islas Chafarinas pág. 84.

141 - ABC 07/01/1948.

شهر ديسمبر من سنة 1949، ألحقت أضرارا بالغة بالسفن التي كانت راسية في ميناء مليلية، بينما تمكنت مراكب الصيد من الاحتماء بالجزر الجعفرية.[142]

- السراب المسمى إعادة إحياء الجزر الجعفرية

في ما بين سنتي 1952 و1953، كانت فترة الحماية قد وصلت إلى نهايتها، حيث أشاعت أبواق الدعاية التابعة للنظام، أن هناك العديد من المشاريع المقرر تنفيذها بالأرخبيل تحت شعار إعادة إحياء الجزر الجعفرية. وقد أشارت جريدة أ. ب. ث A. B. C بأن تلك المشاريع " ستكون علامة فارقة في تاريخ الجزر، وستشكل دليلا حاسما على الوجود الإسباني في المغرب ".

في هذا الصدد، كان من بين المشاريع المنتظر تنفيذها، إصلاح الكنيسة وعددا من المباني، تطوير الميناء لجعله قادرا على استيعاب السفن الكبيرة وتلك المخصصة لصيد التونة، بناء مقر للصيادين ومنشآت لتنمية نشاط الصيد البحري، نُزل سياحي، إقامة خط بحري أسبوعي يربط الجزر بمدينة مليلية لتلبية حاجيات "السياح الذين سيتوافدون بكثرة" على الأرخبيل.

لكن، رغم ترويج اثنان من كبار الأفريقانيين الفرانكاويين، وهما الجنرال غارثيا بالينيو[143](المندوب السامي وحاكم

---

[142] - LaVanguardia 16/12/1949.

منــاطق الســيادة)، والمــؤرخ طومــاس غارثيــا فيغيــراس[144] لهــذه المشــاريع، إلا أنــه لــم يتحقــق منهــا أي شــيء، مثــل بــاقي المخططــات التــي كــان مــن المنتظــر أن تنفــذ فــي الجــزر، باســتثناء تــرميم الكنيســة وبعــض المبــاني وســاحة الســلاح، التــي أصــبحت تحمــل اســم ســاحة غارثيــا بــالينيو. كمــا تــم بنــاء بعــض الأكــواخ المخصصــة للصــيادين الــذين كــانوا يتمركــزون في جزيــرة إيســابيلا سيغوندا. [145]

مــن جانــب آخــر، تــم فــي ينــاير 1955 اســتخراج الرفــات المفترضــة للــزعيمين الانفصــاليين الكــوبيين، الــذين قضــيا نحبهمــا في الجــزر وهمــا: رفاييــل ماســيو [146] والعقيــد خــوان ثينتــرا. بنــاء على طلــب مــن الحكومــة الكوبيــة. و بــالموازاة ذلــك، قــام النظامــان الكــوبي والفراكــاوي، بتنظــيم سلســلة مــن الاحتفــالات بمناســبة تبادل رفات من ماتوا في حرب استقلال كوبا. [147] [148]

---

[143] - عسكري إسباني لعب أدورا مهمة خلال الحرب، فترة الجنرال فرانكو، كما تولى منصب المندوب السامي لإسبانيا في المغرب.

[144] - عسكري ومؤرخ إسباني، شغل منصب نائب الشؤون الأهلية إبان الحماية الإسبانية على شمال المغرب.

[145] - ABC 19/09/1953. Islas Chafarinas págs. 89, 90, 91.

[146] - ثائر كوبي معروف، ناضل مع شقيقيه أنطونيو وخوسي من أجل استقلال كوبا.

[147] - سلسلة من الحروب التي وقعت في كوبا خلال القرن 19 بين الجيش الإسباني والثوار الكوبيين المطالبين بالاستقلال.

[148] - ABC 22/01/1955 y 29/01/1955.

ر ابعا - الجزر الجعفرية من استقلال المغرب إلى أزمة 1975

- استقلال المغرب

في أبريل من سنة 1956 استعاد المغرب استقلاله، وبدأت عملية إعادة انتشار القوات الإسبانية والتي استمرت إلى غاية سنة 1961. في هذا الصدد، تم مع نهاية الحماية إلغاء منصب المندوب السامي، مما حتم إدخال تغييرات على التنظيم الإداري في سبتة ومليلية والممتلكات الشمال إفريقية، وظلت الجزر الجعفرية تابعة للقيادة العامة بمليلية.

وبعد سنوات قليلة، تم تقليص الوجود العسكري في الجزر الجعفرية، حيث اقتصر على حامية واحدة بعد أن كانت ترابط بها كتيبة عسكرية. كما تم إلغاء منصب القائد العسكري للجزر الجعفرية، وتولى اختصاصاته الضابط المسئول عن الحامية.

خلال السنوات التي تلت استقلال المغرب، استمرت الحياة في الجزر على طبيعتها، كما تواصلت علاقات الجوار مع قبيلة كبدانة، وواصل سكان الجزر التزود من راس الما بالمنتوجات الطازجة، بالاعتماد على الرصيف الصغير بسبب صعوبة التنقل إلى مليلية.

كذلك، واصلت الصيد المملوكة لسكان راس الما، الرسو قريبا من جزيرة إيسابيلا سيغوندا، ويتذكر أنطونيو باردو، الذي أمضى تلك السنوات في الجزر، أن طواقم تلك السفن كانوا بمجرد الرسو يغادرون نحو راس الما في قارب الأضواء،

تـاركين شخصـا لحراسـة سـفينة الصـيد، مـا لـم يكـن الطقـس سيئا، إذ في تلك الحالة، يضطر الطاقم كله إلى البقاء.

أمـا فيمـا يتعلـق بالصـيد في الميـاه المحيطـة بـالجزر، والتي لـم تعتبرهــا إســبانيا مطلقــا ميــاه خاصــة، فقــد تــم اســتغلالها بموجــب اتفاقيــة 1957، التــي ضــمنت للصــيادين المغاربــة والإسـبان الصـيد في الميـاه الإقليميـة للبلـدين، كمـا كـان الحـال عليه دائما.

لقـد بقيـت الأمـور علـى حالهـا إلـى غايـة سـنة 1969، تـاريخ توقيـع أول اتفاقيـة صـيد بـين إسـبانيا والمغـرب، والتي حـددت الميـاه الإقليميـة ب 12 مـيلا بحريـا لكـل بلـد، مـع التأكيـد علـى " الحقوق التاريخية " للصيادين الإسبان في المياه المغربية. [149]

وقـد سـمحت هـذه الاتفاقيـة للصـيادين الإسـبان، وخصوصـا المليليـين، بالاسـتمرار في ممارسـة نشـاطهم في الجـزر الجعفريـة، لكـن، سـنوات قليلـة بعـد ذلـك انـدلع نـزاع بـين البلـدين على عـدة جبهات، من بينها قطاع الصيد البحري.

- الأزمات المغربية الإسبانية خلال عقد السبعينات: قضية الصحراء، الصيد البحري، المطالبات التر لبية

انطلقـت شـرارة هـذه الأزمـات بسـبب الصـيد البحـري، حيـث كانــت الاتفاقيــة الموقعــة بــين البلــدين ســنة 1969 محــدودة الفعاليـة، ولـذلك تـم إلغاؤهـا سـنة 1972. وقـد اسـتغل المغـرب

149 - BOE del 05/06/1969.

هـذا الإلغـاء، ليقـوم عنـد بدايـة سـنة 1973 بمضـاعفة عـرض منطقتـه الاقتصـادية الخاصـة ليبلـغ 70 مـيلا بحريـا، وهـو الإجـراء الـذي قامـت بـه حينها مجموعـة مـن الـدول التي تمتلـك ثـروات سـمكية هامـة، رغـم أنـه لـم يكـن قائمـا علـى أسـس قانونية على المستوى الدولي.

مـن جانـب آخـر، كـان لميناء مليليـة وضـع خـاص، حيـث كـان قاعـدة انطـلاق للعديـد مـن سـفن الصـيد المغربيـة، وكـان مسـموحا للصـيادين الإسـبان كـذلك، الصـيد في الميـاه المغربيـة، إلـى حـدود يـوم 2 يوليـوز 1973، حيـث قامـت دوريـة مغربيـة باحتجـاز مركـب الصـيد كـواترو منـدامينتو، واقتيـاده إلـى الحسـيمة. وقـد نـتج عـن هـذا الحـادث، تعطيـل أسـطول الصـيد المليلي عن العمل عدة أيام، إلى أن تتضح الأمور.

وفي نـوفمبر مـن نفـس السـنة وقـع حـادث آخـر مـع خفـر السـواحل المغربي، وهـذه المـرة في ميـاه الجـزر الجعفريـة، إذ تـم في يـوم 27 مـن نفـس الشـهر، احتجـاز سـفينة الصـيد غوتيـاغو، عنـد تواجـدها على بعـد سـتة أميـال مـن الجـزر، كمـا تـم احتجـاز السـفن التاليـة: أولبيـرا غايـاردو، كينيـوبيرو وبالومـا بلانكـا، وجميعهـا مسـجلة بمليليـة، وذلـك عنـد عودتهـا إلى الميـنـاء، حيـث تـم اقتيادهـا إلـى الحسـيمة، التي توجـد بهـا قاعـدة للبحريـة الملكيـة المغربيـة، وقـد سـمح لهـا بـالعودة إلى مليليـة في يـوم 30 نوفمبر من نفس السنة. [150]

---

[150] - El Telegrama de Melilla y ABC del 28/11/1973. La Vanguardia 01/12/1973.

لقد كان من الممكن حل المشاكل المتعلقة بالصيد البحري عن طريق التفاوض وعقد الاتفاقيات الثنائية، لكن المطالبة المغربية باسترجاع الأقاليم الصحراوية التي كانت تحت الوصاية الاسبانية، عبر تقديم طلب إلى هيئة الأمم المتحدة لتصفية الاستعمار، وكذا ضغط المغرب على إسبانيا عبر تدويل المطالبة باستعادة مناطق السيادة في سبتة، مليلية، الجزر الجعفرية وصخرتي نكور وبادس أدى إلى اندلاع أزمة جديدة بين المغرب وإسبانيا. وفي هذا الصدد، وجه المندوب المغربي لدى هيئة الأمم المتحدة، رسالة إلى للجنة تصفية الاستعمار في شهر فبراير 1975، يطالب فيها بإدراج هذه الأقاليم ضمن لائحة المناطق الخاضعة لتصفية الاستعمار، لكن اللجنة لم تأخذ هذه الرسالة بعين الاعتبار. وفي النهاية، تم توقيع اتفاقية مدريد يوم 14 نوفمبر 1975، التي تخلت إسبانيا بموجبها عن إدارة الصحراء لصالح المغرب وموريطانيا، مما أدى إلى عودة الهدوء إلى العلاقات المغربية الإسبانية.

- تراجع نشاط الصيد البحري بالجزر الجعفرية

عادت العلاقات بين البلدين على مستوى الأنشطة البحرية بعد اتفاقية مدريد إلى طبيعتها، كما عادت السفن القليلة المتبقية في مليلية، بالإضافة إلى سفن أخرى كانت تأتي

مـن ألميريـة وأدرا وبربـاطي للصـيد فـي ميـاه الجـزر الجعفريـة، خصوصا في سنوات الوفرة.

في هـذا الصـدد، يتـذكر خوسـي لوبيـث لوبيـث، مالـك سـفينة صـيد مـن أدرا، جيـدا تلـك الفتـرة التي يطلـق عليها " سـنوات أنشوبة مليلية ".

لكـن، سـوء اسـتغلال الثـروات السـمكية، عبـر اسـتخدام الصـيادين الإسـبان والمغاربـة للمتفجـرات، أدى خـلال أواسـط عقـد الثمانينـات إلـى اسـتنزاف الثـروة السـمكية كمـا ألحـق بهـا ضررا شديدا بالبيئة البحرية.

في السـياق ذاتـه، عنـدما كانـت اتفاقيـات الصـيد بـين المغـرب وإسـبانيا سـارية المفعـول، كانـت سـفن الصـيد الإسـبانية تمـارس نشـاطها في ميـاه الجـزر الجعفريـة، وتسـتخدم رصـيفها للجـوء في حالـة الضـرورة لتفـادي الحـوادث، مثلمـا وقـع لسـفينة ماريسـول التـي جنحـت فـي يونيـو 1996 بـالقرب مـن جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا. ذلـك، أن حاميـة الجزيـرة، بالخصـوص جنـود البحريـة، حـاولوا تقـديم المسـاعدة إلـى طـاقم السـفينة المنكوبـة فـي حـدود الإمكانيـات المتـوفرة، لكـن، احتاجـت السـفينة إلـى مسـاعدة إضـافية نتيجـة للتيـارات البحريـة القويـة، وسـوء الأحـوال الجويـة، ومـن ثـم، تـم إرسـال سـفينة الإنقـاذ " سـالبامار 1 "، التـي وجههـا مؤلـف هـذه السـطور مـن مليليـة، مـع طـاقم متخصـص لأجـراء الإصـلاحات الضـرورية، والتـي مكنـت سـفينة الصيد من الإبحار مجددا، والعودة إلى ألميريا.

خامسا - الجزر الجعفرية في الوقت الحاضر

- نهاية الساكنة المدنية في الجزر الجعفرية

عند نهاية عقد السبعينات، وصلت الجزر الجعفرية إلى حالة من التدهور الشامل، وتم تخفيض حاميتها إلى فرقة من الريغولاريس[151] يرأسها قبطان، وفرقة من جنود البحرية يرأسهم رقيب. في حين، انحصر الوجود المدني داخل جزيرة إيسابيلا سيغوندا في موظف تلغراف، خباز ومسئول عن المنار، كما كان يحل بالجزيرة في بعض الأحيان أقارب أحد الجنود بهدف الزيارة. لكن، سنوات قليلة بعد ذلك غادر المدنيون نهائيا الجزيرة، لأن مهامهم لم يعد لها وجود، كما هو حال موظف التلغراف والمسئول عن المنار، أو تولاها موظفون تابعون لوزارة الدفاع يتغيرون كل شهر، كما هو حال الخباز والميكانيكي البحري.

كما صارت المواصلات البحرية مع مليلية منحصرة في رحلة واحدة كل أسبوعين، تؤمنها سفينة " ليون إي كاستيو "، المملوكة لشركة تراسميديترانيا. أما المواصلات مع راس الما، فقد كانت مستمرة على متن مركب مملوك لشخص يعرف باسم " لارغو ".[152]

---

[151] - مجموعات عسكرية تأسست سنة 1911، وتشكلت من القوات الأهلية المغربية تحت قيادة ضباط إسبان، واندمج جزء منها في القوات المسلحة الملكية بعد الاستقلال سنة 1956. تتمركز حاميتها حاليا في سبتة، مليلية، الجزر الجعفرية وصخرتي نكور وبادس.

[152] - Reportaje de Alberto Miguez en La Vanguardia del 16/07/1977

هكــذا، انتهى الوجــود المــدني داخــل الجــزر الجعفريــة مــع تقاعــد المســئول عــن المنــار، والمســئول عــن المينــاء الســيد مانويــل غونثاليــث مادوليــل ســنة 1986، [153] كمــا تــم في نفــس الســنة، إلغاء الخط البحري الذي كان يربط الجزر بمليلية.

- حاضر ومستقبل الجزر الجعفرية

باعتبارهــا منطقــة خاضــعة لــلإدارة العســكرية، فــإن نتــائج سياســة الاحتــراف والتحــديث والعصــرنة التي انتهجتهــا القــوات المســلحة الإســبانية، ظهــرت بوضــوح في الجــزر الجعفريــة، حيــث تــم خــلال الســنوات الأخيــرة إعــادة تنظــيم المــوارد المتــوفرة، وتقليص عدد الجنود.

فقــد أدى تقلــيص عــدد الجنــود المتواجــدين بمليليــة نتيجــة سياســة الاحتــراف التــي انتهجهــا الجــيش، إلــى تقلــيص عــدد حاميــة الجــزر الجعفريــة، وخصوصــا جنــود البحريــة، وبالتــالي عــدد المراكــب العاملــة بــالجزر، حيــث أعيــد إلى مليليــة في أواســط عقــد التســعينات، آخــر مركــب مــن مجموعــة المراكــب المتعــددة المهام التي كانت تنشط في الجزر الجعفرية.

في حــين، تــم خــلال ســنة 2000 ســحب ســفينة الشــحن مــن طــراز 399 TRB كابيطــان مــايورال، التي كانــت تابعــة لوحــدة الــدعم اللوجيســتيكي بمليليــة، ويســيرها طــاقم مــدني تــابع لــوزارة الــدفاع، وكانــت مهامهــا تتمثــل في تــوفير المــؤن للجــزر الجعفريــة

153 - Islas Chafarinas pág. 108.

وصخرتي النكور وبادس، وبعدها، أصبحت مهمات تغيير الطواقم، والتدخل في الحالات الطارئة، تتم بواسطة المروحيات.

هكذا، صارت المواصلات البحرية مع الجزر الجعفرية بعد سحب سفينة القبطان مايورال من الخدمة، محصورة في السفن الصهريجية التابعة للبحرية، والمخصصة لنقل المواد والمؤن، أثناء الرحلات التي تقوم بها لتزويد جنود الحامية بمياه الشرب. كما ألغيت خلال هذه السنوات النوبات الشهرية للخبازين والميكانيكيين العاملين التابعين لوزارة الدفاع.

من جانب آخر، ومع اندلاع أزمة 2002، على إثر التدخل المغربي في جزيرة تورة، عادت الحكومة للتركيز على الجزر، حيث جرى تعزيز حاميتها بفرق من الريغولاريس المتواجدة في مليلية، خصوصا بعد قيام زوارق تابعة للبحرية الملكية المغربية بمناورات بالقرب من الجزر. كما انتشرت تلك القوات في الجزيرتين غير المأهولتين كونغريسو والملك تحسبا لأية مفاجآت،و أرسلت وحدات أخرى لمراقبة محيط الأرخبيل. [154]

لكن، مع عودة الوضع إلى طبيعته، عادت تلك القوات، التي انتشرت بصفة استعجالية، إلى قواعدها في مليلية، وغرقت الجزر الجعفرية مرة أخرى في سباتها العميق.

154- ABC del 13/07/2002.

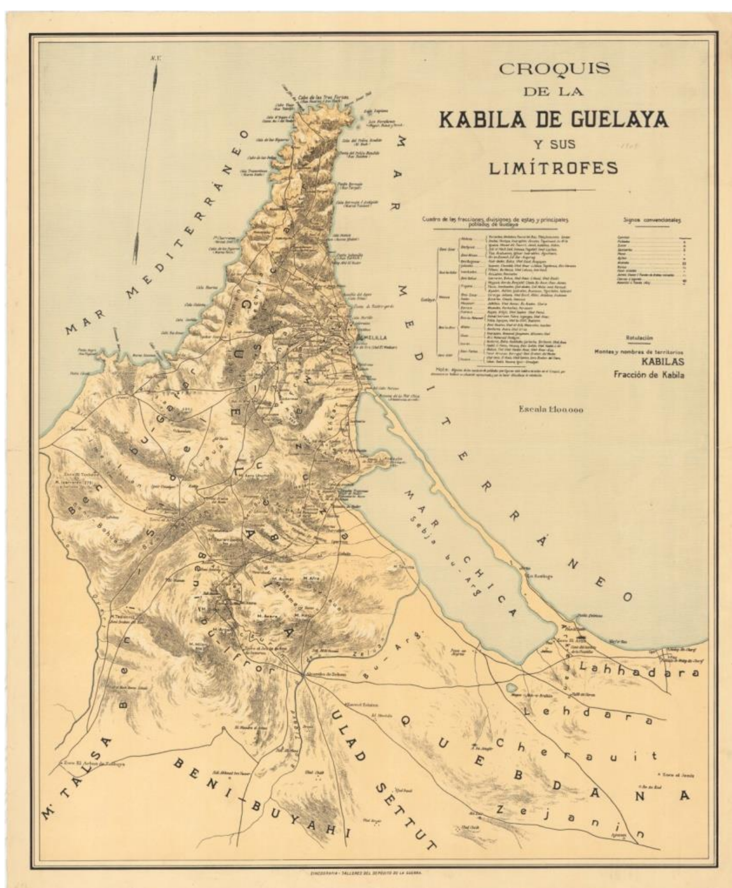
أما في السنوات الأخيرة، فقد شرعت البحرية في إخراج السفن الصهريجية التي تمون الجزر الجعفرية وصخرتي النكور وبادس وجزيرة البرهان من الخدمة. وهذا ما يفرض إعادة النظر في مستقبل التموين وإمدادات الماء، وفي هذا الصدد، اتجهت الحكومة، إلى الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة، والطاقات المتجددة، إذ وافقت في نهاية سنة 2009، على إقامة مولد للمياه الصالحة للشرب بواسطة التكثيف، وإقامة محطة للطاقة الشمسية لتلبية حاجيات الرجال [155] والنساء المسئولين على استمرار الوجود الإسباني في هذا الجزر العزيزة على قلوبنا، والمتطلعة إلى المستقبل.

[155] - BOE nº 289 del 01/12/2009 y nº 294 del 07/12/2009.

الملاحق



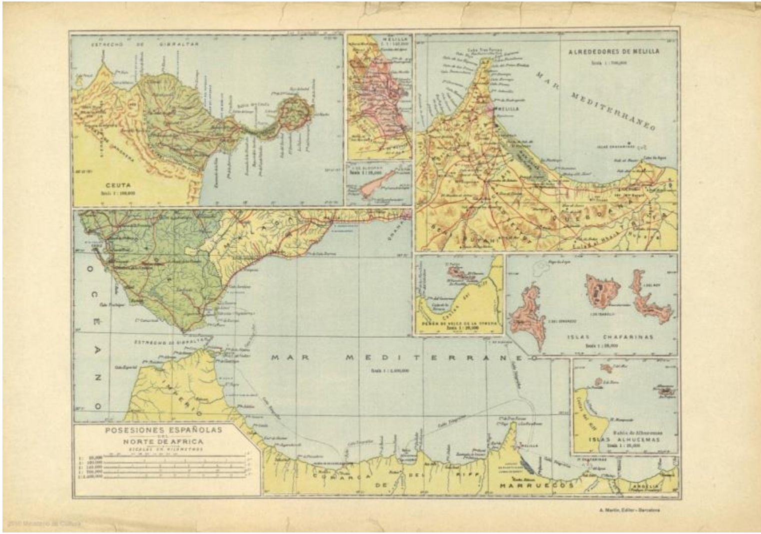
صورة جوية للجزر الجعفرية



قبائل قلعية ومدينة مليلية من خلال خريطة إسبانية

المصدر:

ArchivoCartográfico de EstudiosGeográficosdel Centro GeográficodelEjército — Colección: PCGE — Ubicación: DE — Signatura: MAR-C.1-012 — Código de barras: 9776564

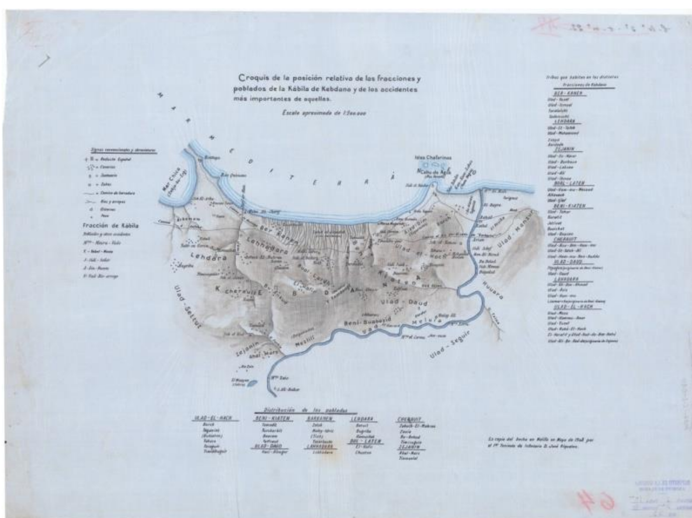


خريطة يعود تاريخها إلى سنة 1903 تمثل المدن والجزر المغربية المحتلة من طرف إسبانيا

المصدر:

Archivo General Militar de Madrid — Colección: SH —

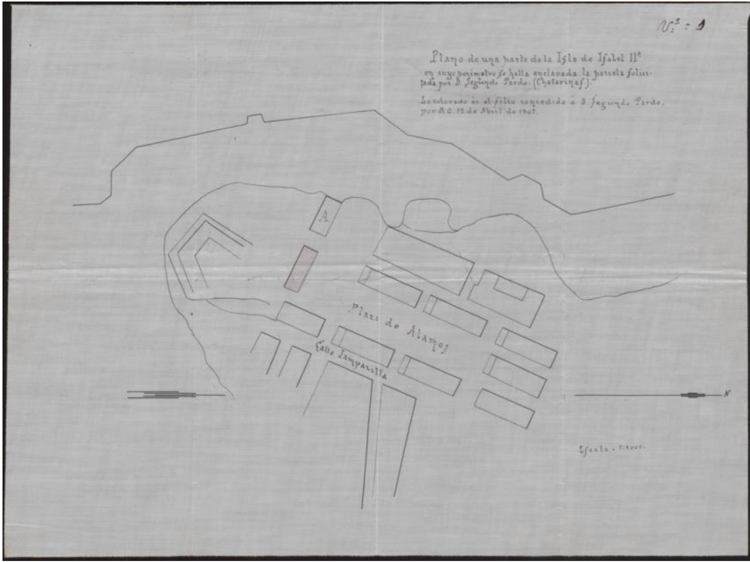
Signatura: AT-1/51



قبيلة كبدانة والجزر الجعفرية ممثلة في خريطة إسبانية من القرن 19

المصدر:

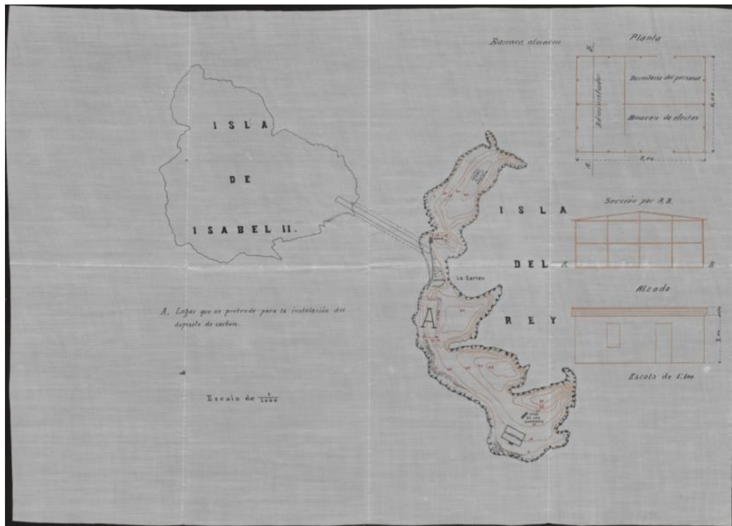
ArchivoCartográfico de EstudiosGeográficosdel Centro GeográficodelEjército — Colección: PCGE — Ubicación: DE — Signatura: MAR-C.1-010 — Código de barras: 9776473



الشوارع والبنيات الرئيسة بجزيرة إيزابيلا الثانية من خلال تصميم يعود لسنة 1907

المصدر:

Archive General Militar de Segovia — Colección: ES-DFAMD — Signatura: Carpeta 2، Plano 33 — Notas: ID_Plan. 44



تصميم مخازن الفحم بجزيرة الملك

المصدر:

Archivo General Militar de Segovia — Colección: AMD — Ubicación: AGMS — Signatura: Carpeta 2، Plano 37 ID_46. — Código de barras: 9939813



كنيسة بجزيرة إيسابيلا سيغوندا

المصدر:

La IlustraciónEspañola y Americana, 22 de octubre de 1893



أسرى مغاربة بجزيرة إيسابيلا سيغوندا سنة 1909



معسكر راس الما

المصدر:FCOML



جزيرة إيسابيلا سيغوندا خلال السنوات الأولى من القرن العشرين



متمردو ثكنة خاكا أثناء وجودهم في الجزر الجعفرية

المصدر: *Foto: Zarco y López.*



الفرقيطة كاثادورا F35 بالمياه المحيطة بالجزر الجعفرية أثناء

أزمة جزيرة تورة

(جزيرة ليلى)سنة 2002



صورة جوية لجزيرة إيسابيلا سيغوندا

مصادرومراجع المؤلف

1- BARCÍA, María del Carmen (2003). Desterrados de la Patria. Cuba 1869 – 1898.La Habana:Universidad، nº 258 (2º semestre).

2 – BECKER, Jerónimo (1915). Historia de Marruecos. Madrid.

3- DEL REY, Miguel (2001). La Guerra de África. MedusaEdiciones.

4 - HERRÁN LÓPEZ, Ángel y AVILÉS، Juan (2003). El nacimientodelterrorismo en occidente. Ed. Siglo XXI.

5 - LÓPEZ CORDÓN, MaríaVictoria (1982). "La políticaexterior en la eraisabelina y el SexenioDemocrático". Historia de España , tomo XXXIV. Madrid: Espasa Calpe.

6- LÓPEZ TIRADO, Jacinto (2002). Islas Chafarinas, un paseo por su historia. Melilla: Ciudad Autónoma.

7 - MOGA ROMERO, Vicente (1988). "Melilla y las PlazasMenor es (Chafarinas، Vélez de la Gomera yAlhucemas) en el DiccionarioGeográfico-Estadístico-Histórico de España y sus posesiones de

ultramar(Madrid 1845-1850) Pascual Madoz". En:Aldaba nº 9. UNED de Melilla.

8 - MORALESY MENDIGUTÍA, Gabriel de (1909). Datos para la historia de Melilla.Melilla: Imp. El Telegrama del Rif.

9 - PASTOR GARRIGUES, Francisco. España y la apertura de la cuestiónmarroquí (1897 – 1904). Tesis doctoral. http://hdl.handlenet/10803/9958.

VILLAR، María José (2006)."España, Alemania y las islas Chafarinas en vísperas del replanteamiento de la cuestión marroquí". Studia histórica. Historia Contemporánea، nº 24; págs. 207 – 229.

10 - VIRUELA MARTÍNEZ, Rafael (1995)." Expansión y crisis de la actividadpesqueravalenciana en el siglo XIX". Investigacionesgeográficas nº 13; págs. 117 – 133.

E-KUTUB
Publisher of publishers
Amazon & Google Books Partner
No 1 in the Arab world
Registered with Companies House in England
Under Number:07513024
Email: ekutub.info@gmail.com
Website: www.e-kutub.com
Germany Office: In der Gass 10,
55758 Niederwörresbach,
Rhineland-Palatinate
UK Registered Office:
28 Lings Coppice,
London, SE21 8SY
Tel: (0044)(0)2081334132

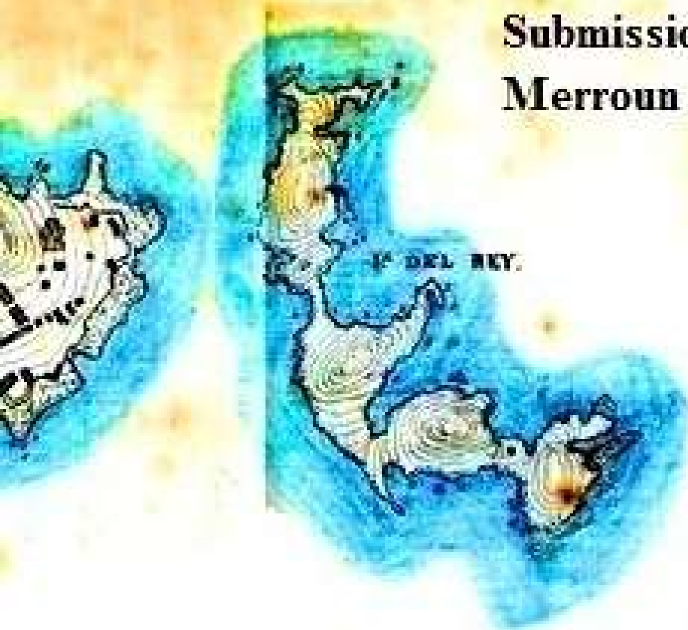
de las islas Chafarinas.

The Chafarinas Islands: From 1848 to the beginning of the 21st century

BY: Carlos Esquembri Hinojo

Translation: Mohamed Abdelmoumen

Submission and review: Dr. Mustapha El Merroun



Cadiz 8 de Febrero de 1889.
El Ingeniero.

